أثر صلح دعان على أوضاع ولاية اليمن ١٩١١ــ ١٩١٨

المدرس علي محسن سرهيد عباس

المديرية العامة لتربية بابل

Ali Mohsen Serhed – 07815893839 @ Gmail Com

الملخص

كان لصلح دعان بين الامام يحيى محمد حميد الدين والدولة العثمانية أثره الواضح في أوضاع ولاية اليمن ١٩١١ ــ ١٩١٨ فقد حول العلاقة بين الجانبين من حالة العداء والمواجهة الى حالة السلم والتعاون ونشر الامن في اليمن , والحد من التصرفات السيئة للمسؤولين العثمانيين في حق الشعب اليمني , إذ جاء الصلح نتيجة لثورات قام بها الامام يحيى ضد العثمانيين لسوء ادارتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليمن .

حصل الامام يحيى بموجب الصلح على الحكم الذاتي في شمال اليمن , وبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الودية بين الجانبين , وحافظ على الامن والاستقرار في اغلب انحاء اليمن , وقام بتقديم المساعدة للدولة العثمانية والوقوف الى جانبها ضد الدول الاجنبية ولاسيما بريطانيا في الحرب العالمية الاولى , وفي منطقة عسير قاد محمد الادريسي نضاله ضد العثمانيين , وأسس الامارة الادريسية فيها التي قاومها العثمانيون والامام معاً بعد الصلح .

الكلمات المفتاحية : اليمن , الدولة العثمانية , صلح دعان , يحيى حميد الدين , محمد الادريسي

The impact of the Daan peace treaty on the situation in Yemen 1911-1918

Teacher . Ali Mohsen Serhed Abbas

General Directorate of Education in Babil

Abstract

The Daan peace treaty between Imam Yahya Muhammed Hamid and the othoman Empire had clear effect on the situations of Yemen 1911- 1918. It changed the relationship between the two sides from hostility and confrontation to peace and cooperation spreading security in Yemen to reduce the bad behavior of the ottoman officials against the Yamani people . As the peace Came as a result of revolutions carried out by Imam Yahya against the ottomans for their mismanagement in political , economic and social affairs in Yemen .

According to the peace treaty , the imam obtained autonomy in northern Yemen and anew stage began in the history of friendly relations between the two sides He maintained security and stability in most parts of Yemen He was committed to providing assistance to ottoman Empire and standing by its side against foreign countries , especially Britain in the First World War , In the Asir region Muhammad al Idrisi led his struggl against the Ottomans and established the Idrisid Emirat there , which the ottomans and Imam Yahya resisted . together after the peace treaty .

Key words :Yemen / ottoman Empire / Doan peace treaty / Yahya Hamid A Muhammad al – Idrisi

المقدمة

يمثل موضوع أثر صلح دعان على أوضاع ولاية اليمن ١٩١١ ــ ١٩١٨ أهمية في الدراسات التي تبحث في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر , لاسيما ان الموضوع يعتني بحقبة زمنية لها خصوصيتها , وقد عد الصلح استجابة منطقية

أثر صلح دعان على أوضاع ولاية اليمن ١٩١١ــ ١٩١٨

المدرس علي محسن سرهيد عباس

واعتراف بواقع له جذور عميقة ساد منذ قرون في عهد اسلاف الامام يحيى محمد حميد الدين , إذ انه من احتلال العثمانيين لليمن للمرة الاولى عام (١٥٣٨ــ ١٦٣٥) , والثانية (١٨٤٩ــ ١٩١٨) التي امتدت الى عهد الامام يحيى لم يتجاوز نفوذ العثمانيين العسكري والاداري المنطقة الشمالية من البلاد , ومن ثم جاء الصلح كتحصيل حاصل للواقع على الارض , ولم يغير شيئاً من الواقع , الا لترتيب العلاقة بين الجانبين , وتحديد الاختصاصات والمسؤوليات ومناطق النفوذ على شمال اليمن .

وعلى الرغم في أن الاوضاع السياسية كانت مهيأة للحكم العثماني الثاني في اليمن والسيطرة عليها مدة طويلة وكان لذلك آثار سياسية واجتماعية واقتصادية وادارية مختلفة , فقد واجهوا مقاومة شديدة من القبائل اليمنية فاندلعت ضدهم العديد من الثورات قادها الائمة الزيدية نتيجة لسياسة تضييق الخناق عليهم وتحديد تحركاتهم وايقاف عوائد الزكاة التي كانوا يرونها انها من حقهم , فرفض الائمة الخضوع والاعتراف بالسلطة العثمانية , اذ قام العثمانيون بفرض ضرائب ورسوم كمركية كانت تعد من الامور المستحدثة التي فرضت على الشعب اليمني , فرفضها الائمة وحملوها شعاراً لثوراتهم ضد الحكم العثماني وتنظيماته الحديثة .

وأسس محمد الادريسي الامارة الادريسية في منطقة عسير نتيجة الظروف التي كانت تمر بها المنطقة والدولة العثمانية عامة , اذ فرض شخصيته على المنطقة والتفت حوله القبائل على امل ان يخلصها من سيطرة الدولة العثمانية وظلم ولاتها وسوء معاملتهم لاهل البلاد .

تألف البحث من مقدمة وتمهيد واربعة مباحث وخاتمة , تناول التمهيد احتلال العثمانيين لليمن لتحقيق اهدافهم التوسعية في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية , درس المبحث الاول محاولات الصلح السابقة بين العثمانيين والمقاومة اليمنية , واستعرض بشكل موجز كل ما يجري قبل توقيع الصلح من ارسال الوفود بين الجانبين الى ان توصلوا الى اتفاق , في حين تضمن المبحث الثاني صلح دعان عام ١٩١١ ودور عزت باشا ورجاله في الصلح , اما المبحث الثالث فوضح العلاقة بين الامام يحيى والعثمانيين بعد الصلح وكيفية تعاون الجانبين في جميع المجالات , وتطرق المبحث الرابع الى دور محمد الادريسي في أوضاع اليمن وتأسيس الامارة الادريسية في عسير, والذي تمتع بدعم من الاسر الارستقراطية وبعض مشايخ القبائل , وانتشر نفوذه في المنطقة وقاد نضاله ضد العثمانيين .

التمهيـــد :

كان لموقع اليمن من العوامل التي أبرزت أهميته في تحقيق الاهداف العثمانية , فوجود اليمن في الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية وامتداد حدودها من جنوب نجد والحجاز في الشمال الى خليج عدن في الجنوب , ومن حدود عمان والربع الخالي شرقاً الى البحر الاحمر ومضيق باب المندب غرباً , فقد جعل هذا الموقع المهم وتلك الحدود التي تطوق الجزيرة العربية منطقة دفاع مهمة عن حدود الدولة العثمانية من الجنوب , وان سيطرتهم على اليمن تجعلهم يضمنون سلامة الاماكن المقدسة في الحجاز والتحكم في البحرين الاحمر والعربي[١].

فرضت الدولة العثمانية سيطرتها على اليمن بعد نهاية دولة المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٦) في بلاد الشام ومصر, فقد جهز العثمانيون عام ١٥٣٨ اسطولاً حربياً في منطقة السويس لمواجهة الخطر البرتغالي في سواحل شبه الجزيرة العربية , واعادة الطريق التجاري الى مصر بعد ان كان طريق راس الرجاء الصالح . وقد وصل الاسطول العثماني الى عدن وبعد فشل مهمته في اقصاء البرتغاليين في المحيط الهندي[٢] ركز قائد الاسطول جهده للسيطرة على اليمن , فاستولى على الموانئ الساحلية (المخا) و(الصليف) ومدينة زبيد , واصبح القسم الاكبر من اليمن منذ ذلك التاريخ خاضعة للنفوذ العثماني وسيطروا عليها لمدة قرن , وعندما حاول العثمانيين توسيع نفوذهم في انحاء اليمن واجهوا المقاومة اليمنية ولاسيما من الائمة الزيدية [٣] , واستمر النزاع بين الجانبين حتى تم اخراجهم منها عام ١٦٣٥ [٤] .

تمتعت اليمن بعد خروج العثمانيين بالاستقلال لمدة قرنيين تحت حكم الائمة الزيدية , والشيوخ والرؤساء المحليين الا ان النزاعات الداخلية [٥] والحرب شبه المستمرة وتردد القبائل في قبول السلطة المركزية للائمة , بالإضافة الى غياب سيطرتها على جميع انحاء اليمن قد شجع الحكام المحليين الانفصال عن السلطة المركزية , ففي عام ١٧٣٥ أعلن السلطان فضل العبدلي (١٧٣٥ــ ١٧٤٢) استقلال مدينتي عدن ولحج وأصبح حاكماً عليهما وانفصل عن حاكم صنعاء[٦] , لقد ساعد ذلك الانقسام على دخول قوات محمد علي باشا (١٨٠٥ ــ ١٨٤٨) حاكم مصر الى اليمن , وقد استقر الحكم المصري في مدينة تهامة وتعز, اذ استطاعت بريطانيا اثارة المشاكل امام المصريين وتمكنت مع القوى الاجنبية الاخرى من اخراج القوات المصرية من اليمن عام ١٨٤٠ [٧] .

ونظرا لعدم وجود كيان قوي متماسك يمتلك القوة والقدرة على المحافظة على وحدة اليمن ووجود عناصر تحث على التفرقة لغرض السيطرة على بعض اجزاء اليمن , شجعت هذه التناقضات والصراعات بريطانيا [٨] للسيطرة على مدينة عدن في ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩ لموقعها الاستراتيجي المهم ، وبذلك اصبحت عدن أول مدينة عربية تحتلها بريطانيا في جزيرة العرب , وكانت أهدافهم من السيطرة عليها تلتقي مع مصالحهم الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية في أهم طريق لمواصلاتهم الى الهند وبلدان الشرق وهو طريق البحر الأحمر[٩] .

عاد الاهتمام العثماني المباشر الى اليمن , اذ بدأت تفكر بالعودة لبسط نفوذها مجدداً عليها , فأرسلت قوات عثمانية كبيرة فوصلت مدينة (اللحية) و(الحديدة) عام ١٨٤٩ , لكن هذه القوات لم تتمكن من بسط سيطرتها الفعلية على المناطق اليمنية بصورة كاملة لاسيما مدينة صنعاء لوجود المقاومة اليمنية , فعادت الى الحديدة وقد احتفظ العثمانيون بموقع لهم في تهامة واتخذوها قاعدة لمراقبة الاحداث وانتهاز اية فرصة مناسبة لإعادة سيطرتهم على اليمن[١٠] .

شجع فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ العثمانيين على اعادة النظر في نفوذهم في الجزيرة العربية بعد تحول التجارة العالمية عن طريق البحر الاحمر[١١] .

وصلت رسائل عديدة في أثناء هذه المدة إلى الدولة العثمانية من رؤساء وشيوخ المناطق اليمنية المختلفة بما فيها صنعاء وتعز طلبوا فيها دخول القوات العثمانية إلى المناطق الجبلية واخضاعها للسيطرة العثمانية المباشرة لاسيما ان الظروف أصبحت ملائمة ، بسبب الاوضاع السيئة التي تمر بها اليمن من جراء تنافس الائمة فيما بينهم على السلطة , وعدم وجود حاكم قوي يوفر الامن والاستقرار للبلاد ، وأدت تلك الاوضاع الى تضرر الشعب واستعداده لقبول السيطرة العثمانية على مناطقهم[١٢] , ونتيجة للاوضاع السابقة واستجابة للرسائل التي وصلت إلى المسؤولين العثمانيين , قامت الدولة العثمانية بتكليف أحمد مختار باشا بقيادة قوات عسكرية للسيطرة على مدينة صنعاء فدخلها بدون حرب عام ١٨٧٢ بعد أن استقبله عدد من رؤساء وأعيان المدينة [١٣] , ومن اهم عوامل نجاح سياسته في حكم صنعاء الى جانب قوته المادية رغبة الشعب اليمني في السلام والاستقرار وسأمهم من حكامهم العاجزين المتنازعين[١٤] , وبذلك اصبحت اليمن مقسمة بين العثمانيين في الشمال وبريطانيا في الجنوب .

وبرغم ذلك قاد الائمة الزيدية انتفاضات كثيرة ضد الاحتلال العثماني في اليمن , ولكنهم قضوا عليها وامتد نفوذهم من مدينة صعدة في الشمال الى مضيق باب المندب في الجنوب , ومع ذلك لم يستمر الاستقرار والامن في ولاية اليمن الا عند عقد صلح دعان ١٩١١ [١٥] .

يتضح ان العلاقة بين الائمة الزيدية والعثمانيين اتخذت طابع السلم او الحرب إلا أن غلب عليها عموماً طابع الحذر والتوتر , ولاسيما كان يؤدي قطعاً الى قيام الاحتكاك بينهما .

المبحث الاول : محاولات الصلح السابقة

لم يكن مبدأ التفاوض والتفاهم بين الدولة العثمانيــة والائمة الزيدية لأول مرة في عهد الامام يحيى محمد حميد الدين[١٦] ، إذ سبق ذلك محاولات عديدة لبدء التفاوض مع والده الامام المنصور محمد يحيى حميد الدين[١٧] لغرض إحلال السلام والامن والاستقرار في الولاية ، وكان أول اتصال بين الامام المنصور والدولة العثمانية عام ١٨٩١ في إطار التفاوض للوصول إلى صلح يخدم الطرفين[١٨] , وذلك بعد أن استطاع الوالي العثماني أحمد فيضي[١٩] انهاء حصار قوات الامام لمدينة صنعاء عاصمة الولاية عام ١٨٩٠ وملاحقته لها حتى مدينة (قفلة عذر) في شمال اليمن وعندما فشل في القضاء والقبض عليه حسب توجيهات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[٢٠] أرسل رسالة الى العاصمة اسطنبول وضح فيها أسباب فشله في تنفيذ تلك التوجيهات من اهمها , انسحابه الى منطقة بعيدة عن مركز القوات العثمانية وتمتعها بتحصينات جيدة فدفع ذلك الدولة العثمانية إلى التفكير باعادة النظر في سياستها تجاه اليمن[٢١] .

وبالرغم من قضاء العثمانيين على الثورة اليمنية في عهد الامام المنصور, الى ان السلطان العثماني رأى أن يتبع مع اليمنيين اسلوباً دبلوماسياً حتى يصل الى حل مرض للقضية اليمنية , فقد ارسل رسالة الى الامام المنصور يدعوه الى وقف اراقة دماء المسلمين , وعرض عليه ان يكون له راتباً شهرياً ويمنحه مرتبة عظيمة بين رجال الدولة اليمنية , ولم تؤدي الرسالة الى نتيجة التي كان ينتظرها السلطان للوصول الى اتفاق بين الجانبين [٢٢] .

استمرت الاضطرابات والفوضى في اليمن , فرأت الدولة العثمانية ايجاد طريقة اخرى للتفاهم , اذ ارسل السلطان مبعوثه نامق بك الى اليمن لمعرفة الاوضاع فيها واسباب ثورة اليمنيين وايجاد الحل لهذه القضية [٢٣], وفي أثناء وجوده في اليمن اتصل به بعض اليمنيين وقدموا له طلبات شكوى ضد ظلم الوالي والمسؤولين العثمانيين واستبدادهم , ولم تؤدي شكوى اليمنيين الا زيادة ضغط الوالي على الشعب اليمني , ثم عاد الى اسطنبول وفشلا في مهمته [٢٤] .

حاول الوالي احمد فيضي عام ١٨٩٢ الوصول الى اتفاق مع الامام المنصور , فقد ارسل عبد الله بن علي الحضوري ممثلاً عنه يحمل رسالة طلب فيها عقد اتفاق بينه وبين الدولة العثمانية , غير ان الامام بعث رسالة رد وضح فيها ان يكون الحكم حسب الشريعة الاسلامية , وتترك الدولة الحكم بالقانون المدني, ولهذا فان الجانبين فشل في التوصل الى اتفاق [٢٥].

تجددت محاولات السلطان لعقد اتفاق مع الامام المنصور عام ١٨٩٦ فارسل له محمد الرفاعي الحسني يحمل رسالة منه الى الامام حثه فيها على عقد الصلح , وبالمقابل ارسل رسالة رد وضح فيها ظلم المسؤولين العثمانيين للشعب اليمني وارتكابهم المحرمات , وطلب من السلطان بان الحل الوحيد هو خروج العثمانيين من اليمن وترك الحكم للائمة الزيدية ويكون حكمهم فيها وفق الشريعة الاسلامية[٢٦] .

اندلعت انتفاضة جديدة عام ١٩٠٢ في بعض المدن الشمالية , وكانت اشارة واضحة الى بداية مرحلة جديدة من النضال التحرري للشعب اليمني[٢٧] .

ارسلت الدولة العثمانية عام ١٩٠٢ الى الامام المنصور وفداً ضم خالد بن محمد ابو الهدى الرفاعي والفريق حسن باشا وعدد من المسؤولين العثمانيين , فقد اراد الوفد الاجتماع به شخصياً لكنه رفض مقابلتهم , وبعث وفداً يمثله للاجتماع بهم في قرية (ضحيان) التي تقع في مدينة حاشد شمال اليمن , وبدأت مباحثات بين الجانبين للتوصل الى الصلح وعرض عليه شروط من ابرزها , ان يكون الامام كأشراف مكة ويتخلى العثمانيين عن اليمن ثم انتهى الاجتماع بالفشل [٢٨] .

دارت الرسائل المتبادلة بين الامام المنصور والدولة والعثمانية حول موضوع الخلافة وأحقية السلطان فيها , ومحاولة إقناعه بترك التمرد والانضمام إلى الدولة , وأما الامام فركز في رسائله على حقه في الامامة مستمداً شرعيته من نسبه المتصل بآل بيت رسول الله محمد(ص) وحكم أجداده اليمن مدة طويلة , استمرت المفاوضات بين الجانبين من خلال تلك

الرسائل ولكن هذا الاسلوب لم يؤدي أي تقدم في المفاوضات ، واستمر الوضع على ما هو عليه إلى أن توفي الامام المنصور عام ١٩٠٤ [٢٩] .

وبعد أن تولى الامام يحيى محمد حميد الدين الامامة في اليمن خلفاً لابيه الامام المنصور بدأت مرحلة جديدة من النضال الوطني , اذ سار على طريق أبيه في مقاومة العثمانيين والوقوف ضدهم وأعلن عليهم حرباً شاملة في العديد من مراكزهم في شمال اليمن وسيطر على مدن اهمها , (عمران , وثلا , وحجة , وخمر , وقفلة عذر) وغيرها من المدن الاخرى , وسارت قواته الى مدينة صنعاء وكانت تقدر بـ (عشرين) الف مقاتل وقد فرض عليها حصاراً استمر ستة أشهر[٣٠] , وفي أثناء الحصار عقد الامام مع الادارة العثمانية في اليمن اتفاق تم بموجبه , خروج العثمانيين من مدينة صنعاء مع سلاحهم الى بلاد حراز , وتسليم المدينة للامام يحيى , ورفع الحصار عن العثمانيين الموجودين في مدينتي (آب , وتعز) , وتكون مدة الهدنة سنة كاملة , وقد غادر مدينة صنعاء بموجب الاتفاق نحو (تسعة) الاف عثماني مع عائلاتهم[٣١] , وتمكنت قوات الامام من دخول المدينة , ثم وصل الامام صنعاء ودخلها لاول مرة في ٢١ نيسان ١٩٠٥ واعلنت جميع المناطق ولاءها له باستثناء ما نص عليه الاتفاق من بقاء نفوذ العثمانيين عليه وهي مدن (اب , وعسير , وتعز , وتهامة , وحراز) ولكن الدولة العثمانية نكثت بالاتفاق , فقد ارسلت قوات كبيرة بقيادة احمد فيضي الى اليمن لانهاء الحصار واستطاع من دخولها والسيطرة عليها في ايلول من العام نفسه [٣٢] , فاضطر الامام الانسحاب الى بلاد حاشد في شمال اليمن واصبحت مدينة شهارة قاعدتة الرئيسة , ولكن القائد فيضي عزم على التوجه بقواته الكبيرة الى المدينة وقام بحصارها لاستعادة الاسرى العثمانيين والاسلحة والاعتدة التي استولت عليها قوات الامام , وعندما وصلت القوات بالقرب من المدينة وقعت معارك بين الطرفين انهزمت بها القوات العثمانية وتم الاستيلاء على اسلحتهم مما اضطرت القوات الى الانسحاب الى مدينة صنعاء [٣٣] .

إن المعارك والانتصارات الذي حققها الامام يحيى في معركة شهارة في اليمن عام ١٩٠٥, اعطت رسالة واضحة للدولة العثمانية بانه قوة كبيرة ولم تستطع مواجهته والاستمرار بالقتال في ارض وعرة المسالك , اضطرت الدولة باتباع طرق سلمية فقامت بتكليف مجموعة من العلماء بارسال رسالة الى الامام في مسعى لحثه على الطاعة وترك قتال القوات العثمانية في اليمن وانهاء الحرب المستمرة , اذ بدأت الوفود تذهب الى الامام منذ بداية عام ١٩٠٦ بدعوى بذل المساعي السلمية لوقف اراقة دماء المسلمين[٣٤] .

ارسلت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٦ وفداً الى الامام لمفاوضته في شروط الصلح , وقد رحب بمبدأ التفاوض للوصول الى اتفاق , كما انه له فائدة كبيرة من هذه المفاوضات مع الدولة العثمانية ان يكسب اعترافاً منها بكيانه كزعيم ديني في اليمن الى جانب منحه قدراً معيناً من السلطة السياسية بين اتباعه , وليس له مانع من ان تخضع اليمن للسيادة العثمانية , وتتحمل الدولة مسؤولية الدفاع عنها ضد أي عدوان اجنبي قد لا تستطيع قواته ان تتصدى له , لهذا قدم الامام يحيى الشروط التالية للوفد العثماني الذي جاء الى اليمن للاتفاق على الصلح ومنها [٣٥] .

١- أن تكون الاحكام بموجب الشريعة الاسلامية .
٢- أن يرجع عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع إلى الامام .
٣- أن تكون معاقبة الخائنين والمرتشين من قبل للامام .
٤- تخصيص رواتب كافية للحكام والمأمورين، حتى لاتدفعهم الحاجة لاخذ الرشوة .
٥- إحالة الاوقاف إلى عهدة الامام لاحياء المعارف في البلاد [٣٦] .
٦- إقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من المسلمين واليهود ، كما أمر الله ورسوله والذي أبطلها الموظفون العثمانيون .
٧- أخذ العشر من المزروعات التي تُسقى من الامطار، وأما التي تُسقى عن طريق الآبار فيؤخذ منها نصف العشر،

والاراضي التي تزرع مرتين أو ثلاث فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه , ويؤخذ من المواشي والاغنام النصاب الشرعي ، ويرفع ما سوى ذلك من التكاليف .

٨- يتم جباية الاموال الوارد ذكرها بواسطة شيوخ البلاد تحت إشراف مأموري الدولة .

٩- تُعفى قبائل حاشد وخولان والحدا وأرحب من التكاليف الرسمية .

١٠- يسلم كلّ طرف من يلجأ إليه من أتباع الطرف الاخر [٣٧].

١١- أن لا يولى أحد من أهل الكتاب على المسلمين.

١٢- إعلان العفو العام في البلاد حتى لايسأل أحد عن ماضيه.

١٣- أن تشمل أحكام المواد السابقة ذكرها مدينة صنعاء وتعز وملحقاتهما.

١٤- أن لاتتدخل الحكومة في شؤون مدينة آنس ، ولا يعارض أحد الامام في تعيين الموظفين في هذا القضاء نظراً لفقر أهله .

١٥- أن تكون المحافظة على هذه البلاد من التدخلات الاجنبية مسؤولية الدول العثمانية [٣٨] .

رفضت الدولة العثمانية الشروط الذي قدمها الامام يحيى للتوصل الى الصلح , اذ استمرت من جديد الثورة ضد العثمانيين في اليمن , فحدثت معارك في مدن (خولان , والبيضاء , ورجام , وحجة , وانس) وغيرها من المدن [٣٩] .

قامت الدولة العثمانية باعادة المفاوضات من جديد محاولة الاتصال الشخصي بالامام ومفاوضته لإيجاد حل للقضية اليمنية , وكان دافعها الى ذلك رغبتها في استقرار الامور في اليمن حتى تتجنب الخسائر الكبيرة المستمرة التي لا تتحمل ميزانيتها المجهدة , وكان السلطان عبد الحميد اراد معرفة الاسباب الحقيقية للثورة اليمنية محاولاً ايجاد حل لهذه القضية المستعصية , وكانت وسيلته في ذلك الوفود الذي كان يرسلها لاستطلاع الموقف فيها ومحاولة ايجاد نقطة التقاء بين مصالح دولته ومطالب المقاومة اليمنية [٤٠] .

أرسل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٧ وفداً من كبار علماء مكة برئاسة العلامة عبد الله عباس وتسعة من العلماء لاجراء مفاوضات مع الامام يحيى , واثناء المباحثات قدم الوفد له نصيحة بالموافقة على الصلح لاستقرار البلاد , لكن الامام وضح للوفد سوء ادارة الوالي والمسؤولين العثمانيين وانهم مستمرون في اثارة السلطان على الشعب اليمني ولهم مصلحة في استمرار الحرب , وفشل الجانبين في التوصل لاتفاق , ويبدو ان الوفد عندما غادر اليمن لم يعلم السلطان على حقيقة الاوضاع فيها مما ادى الى تجدد الاضطرابات [٤١] .

أدركت الدولة العثمانية عام ١٩٠٨ احتياج ولاية اليمن الى سلام واستقرار, فقامت بعزل الوالي احمد فيضي لعدم تمكنه من القيام بالدور المطلوب في حسم الموقف , وتعيين بدلا منه الوالي حسن تحسين (١٩٠٨ــ ١٩١٠) الذي اتبع سياسة سلمية تجاه الشعب اليمني , فقد عاد الهدوء والاستقرار للبلاد وانتهت الفوضى , ولم يتعرض الامام واتباعه للاذى , وجرى بين الوالي والامام صلح ضمني هو عدم الاعتداء أحدهما على الآخر , ونجح الوالي بحكمته من القيام بالدور المطلوب منه فاعترف بالوضع الخاص للامام داخل اليمن [٤٢] .

وعندما رأت الدولة العثمانية النجاح النسبي لسياسة التهدئة الذي اتبعها الوالي , فقد رغبت في أن تحقق الاستقرار في الولاية عن طريق التفاهم مع اليمنيين انفسهم في شؤون بلادهم , لهذا طلب السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ وفداً من كبار رجال اليمن من سادتها وعلمائها وشيوخها , وقد وصل أعضاء الوفد الى اسطنبول فأقاموا فيها شهراً , وقابلوا السلطان لمدة عشر دقائق فقط , وكـان الاعضاء مختلفين فيما بينهم حول نقاط عديدة منها [٤٣] , ان بعض الاعضاء لم يكونوا متفقين على كيفية حل ازمة اليمن , والبعض منهم اعتقد انه لابد من استعمال القوة لا نهائها , ويرى البعض الاخر اتباع الطرق السلمية والرجوع الى الشريعة الاسلامية , كما اختلف الاعضاء ايضاً حول الغرض من مجيئهم الى اسطنبول , وعدد قليل منهم يقدرون

اهمية الدور الذي يقومون به , بينما العدد الاكبر من الاعضاء اهتموا باغراض خاصة لهم لدى السلطان , وفشل الوفد في عرض قضية بلاده فعاد الى اليمن [٤٤] , ويبدو ان المسؤولين في الدولة ادركوا ان الوفد لا يمثل المقاومة في اليمن ولا يستطيع التأثير على ثورة اليمن .

استبشر الامام يحيى حميد بقيام حكومة الاتحاد والترقي[٤٥] بعد نجاح ثورتها في تموز عام ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد الثاني التي قامت بعزله من الحكم في ٢٧ نيسان ١٩٠٩ وتنصيب أخيه محمد رشاد (١٩٠٩ ـ ١٩١٨) سلطان باسم محمد الخامس [٤٦] , وأمل الامام في التوصل لاتفاق فاطلق الاسرى من الضباط والجنود العثمانيين دلالة على حسن نيته واتصل مع حكومة العهد الجديد لحل مسألة اليمن بالطرق السلمية , فقام الصدر الاعظم كامل باشا بإرسال وفد يتكون من شخصيتين يمنيتين يحملان منه رسالة الى الامام اقترح فيها ان يرسل وفداً من اتباعه للتباحث معهم في شؤون اليمن , وافق الامام على إرسال وفد مكون من , محمد احمد الشامي , وسعد محمد الشرقي , وعبد الله ابراهيم [٤٧] وصل الوفد الى اسطنبول , اذ بدات المفاوضات مع المسؤولين العثمانيين وقدمت الاقتراحات , فقام مجلس المبعوثان العثماني بتشكيل لجنة من النواب برآسة النائب مصطفى عاصم افندي لايجاد حل لمشكلة اليمن واجتمعت اللجنة مراراً , وفي ٧ اب ١٩٠٩ اقرت مشروعاً من ست مواد [٤٨] :

المادة الاولى : تقسيم ولاية اليمن الى ولايتين – جبلية وساحلية , وتضم الولاية الجبلية مدن (عمران , وحجة , والطويلة , وحجور , وذمار , وبريم , وانس) وتضم الولاية الساحلية قسم من تهامة والسهل الساحلي .

المادة الثانية : تكون الولاية الجبلية تحت سيطرة الامام يحيى حميد , والساحلية الى شخص يتمتع بالكفاءة والقدرة .

المادة الثالثة : يفوض ممثلو الادارة في الولاية تفويضاً تاماً بانتخاب القضاة والعمال والمأمورين وفقا للاحكام الشرعية واختيار رجال الشرطة ويشترط ان يعرض القضاة والعمال والمأمورين على الحكومة العثمانية [٤٩] .

المادة الرابعة : تفوض الولايتين بالإنفاق من الاموال التي تجبى , فان بقيت اموال ترسل الى العاصمة اسطنبول , ويبذل قسم منه في سبيل الترقيات المحلية .

المادة الخامسة : يكون قضاء (مناخة) مركزاً للجيش مع ابقاء قوة كافية في صنعاء تحت امرة احد القادة الاكفاء للحفاظ على الامن العام , ولكن لا يترك قوة عسكرية في المدينة التي يتخذها الامام يحيى مركزاً له .

المادة السادسة : يتطلب من المسؤولين الذين يتم تعيينهم في الولايتين ان يقدموا لمركز الدولة في نهاية كل عام ميزانية تبين فيها الايرادات والنفقات [٥٠] .

أقرت الحكومة العثمانية المشروع المقدم من اللجنة التي انتخبها مجلس المبعوثان من بين نوابه لحل قضية اليمن واصلاح شؤونها , ثم حولها الى المجلس الذي عرضه على لجنة خاصة قامت بدراسته وادخلت عليه بعض التعديلات , وبعد المصادقة على المشروع وزعت نسخ منه على اعضاء المجلس واعلنت مواده في الصحف , وعندما تم تعيين طلعت بيك وزيراً للداخلية قام بسحب المشروع من المجلس , واقترح على النواب ان يعهدوا اليه بايجاد حل لقضية اليمن في اقرب وقت ممكن ولكن الوزير اهمل المشروع [٥١] .

يتضح من ذلك ان الجهود التي بذلها الجانبين في سبيل الوصول الى حل سلمي لمشكلة اليمن , وبعث الرسائل وزيارة الوفود بين الجانبين , كانت تخرج بمقترحات وحلول لمشكلة اليمن , وبرغم الاعتراضات والصعوبات التي تواجه هذه الجهود لكنها ساهمت في النهاية الى عقد صلح دعان عام ١٩١١ .

المبحث الثاني : صلح دعان ١٩١١

دور عزت باشا ورجاله في اتمام الصلح

إن حكومة الاتحاديين بدلاً من تنفيذها الاتفاق بين الجانبين العثماني واليمني عام ١٩٠٩ بدأت تمارس في اليمن نفس سياسة ما قبل الثورة [٥٢] , كما عينت محمد علي باشا (١٩١٠ ــ ١٩١٢) والياً على اليمن لتنفيذ سياستهم في البلاد , وهو احد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذي كان يمثل أفكارهم وسياستهم التي ارادوا تنفيذها في جميع ولايات الدولة العثمانية , واثناء ولايته ازداد الظلم والفساد والاضطهاد للشعب اليمني [٥٣] , وكان موصوفاً بالشدة والحزم وعامل الناس بالعنف والاضطهاد ومعاقبة اي فرد يتصل بالمقاومة اليمنية , وممارسة السلطة الجديدة سلوكيات تخالف العادات والقيم الاخلاقية والدينية التي مارسها الشعب اليمني , كما اهتم بجمع الضرائب لمصلحته الشخصية بجميع الوسائل مما ادى الى زيادة الفقر في اليمن , وكانت سياسته نموذجاً لحكم الاتحاديين الاستبدادي بنزعاته العنصرية المتطرفة , فزاد ذلك من حماسة المقاومة في مواجهة القوات العثمانية التي ارسلتها الدولة لإخضاعهم , وعلى أثر ذلك تجددت الثورة والحروب في اليمن [٥٤] .

كانت الخطوة الاولى التي بدأها الامام يحيى , هو اصدار نداء إلى جميع القبائل اليمنية لينضموا اليه لمواجهة العثمانيين[٥٥] , فقد اعلن ثورته في شهر كانون الاول ١٩١٠ فقطعت اسلاك التلغراف بين صنعاء والحديدة بهدف التأثير على العمليات الحربية العثمانية , وانتشرت الثورة بسرعة كبيرة في جميع انحاء اليمن , ووقعت معارك كبيرة بين الثوار والقوات العثمانية التي انهزمت وسقط العديد من القتلى والجرحى منها, وقام بحصار جميع المدن الرئيسة في اليمن , واستمر حصار العاصمة صنعاء من كانون الثاني الى نهاية نيسان ١٩١١ [٥٦] .

إن الدولة العثمانية لم تقف مكتوفة الايدي ازاء هذه الاوضاع الحرجة التي هزت دعائم حكمها في اليمن , فقامت فوراً بإرسال الامدادات من الجنود والمعدات للقوات المحاصرة في صنعاء وغيرها من المدن الاخرى لمواجهة الثورة والعمل على اخمادها , وقررت الحكومة العثمانية ان ترسل الى اليمن (٣١) وحدة عسكرية و(٨) بطاريات مدفعية فكانت مصممة على استعمال الشدة في قمع الثورة [٥٧] .

والى جانب العمليات الحربية التي قامت بها الدولة العثمانية للقضاء على ثورة اليمنيين , كانت هناك جانب سلمي هو تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من المأمورين الملكيين السابقين والقادة العسكريين للبحث في المسألة اليمنية , وعقدت اللجنة اول اجتماع لها في شباط ١٩١١ لمناقشة الاوضاع في الولاية الثائرة [٥٨] .

ونتيجة تأزم الامور في اليمن قامت الدولة العثمانية باستعدادات حربية كبيرة لانهاء الثورة باي ثمن خوفاً من ان تنتقل الى الولايات المجاورة , كما كان طاقاتها الحربية المتمثلة في قواتها المنتشرة في ولاياتها محدودة للغاية , فان سحب اي قوات عسكرية من احدى ولاياتها الى ولاية اخرى يعني ضعف نفوذها في الولاية الاولى[٥٩] , وكان من الافضل للدولة العثمانية ان تحاول الالتقاء مع رغبات اليمنيين في عقد الصلح مكتفية باعترافهم بسيادتها على اراضيهم , وكان الامام يحيى على استعداد لعقد اتفاق مع الدولة اذ اعترفت بوضعه الخاص وتركت لهم حرية تطبيق الشريعة الاسلامية في مناطقه [٦٠] .

قامت الدولة العثمانية بإرسال قوات عسكرية كبيرة الى اليمن عام ١٩١١ بقيادة رئيس اركان الجيش العثماني احمد عزت باشا[٦١] ومنحته صلاحيات واسعة وبصحبته عزيز علي المصري[٦٢] , وكانت خطة القائد تقوم , اولا : ضرورة انهاء الحصار عن القوات الموجودة داخل مدينة صنعاء والمدن الاخرى في اليمن , وثانيا : عدم الدخول في معارك كبيرة مع المقاومة اليمنية بقيادة الامام يحيى , وعدم الوصول الى مناطق سيطرتها فهو لا يتطلب انهاء المقاومة بل الحفاظ عليها قدر الامكان للاستعانة بها في مواجهة اطماع الدول الاستعمارية مستقبلاً , وثالثا : الاتصال بالامام والسعي لعقد اتفاق معه ,

ورابعا : مواجهة الخطر الاكبر في الجزيرة العربية , ولاسيما في منطقة عسير وتهامة المتمثل في حركة محمد الادريسي[٦٣] , وانهاء تحالفه مع ايطاليا وان اتصالاته معها بدأت تتسرب اخبارها بشكل علني [٦٤] .

سارت القوات العثمانية بقيادة عزت باشا حتى وصلت منطقة عسير , فقد تصدى لها محمد الادريسي بهدف منع وصول الحملة الى اليمن الذي سبب لها متاعب كثيرة , وقام بقطع مياه الشرب واسلاك التلغراف عن المدن والقرى التي نزلت بها القوات العثمانية , وكانت اشد المعارك (معركة جيزان) التي تكبدت فيها القوات العثمانية خسائر كبيرة مما اضعف كيانها [٦٥] , اذ بلغت خسائر الجيش العثماني ما يقارب ثمانية وعشرون الف جندي بين جريح وقتيل واسير, وقد ادت هذه الواقعة الى استجواب ناظر الداخلية خليل بيك من قبل النواب في مجلس المبعوثان عن سبب الهزيمة التي لحقت بالقوات العثمانية فيها , فكان رده بكلام مختصر مفيد انهم وقعوا في كمين نصبه لهم ثوار اليمن , وكانت تلك المعركة اثرها المباشر في مفاوضات الصلح بين الجانبين [٦٦] .

وبرغم الهزيمة قام عزت باشا بجمع قواته في مدينة الحديدة ومنها سار الى صنعاء لإنهاء حصارها وطرد القوات اليمنية منها , ولم يكن الطريق بين المدينتين سهلاً مفتوحاً امام العثمانيين , إذ إنها واجهت في طريقها معارك عنيفة ومستمرة مع القوات اليمنية [٦٧] , وتكبد الجانبان خسائر فادحة في الارواح والمعدات , اذ تسببت هذه الحروب وما تخلف عنها من قتلى التي يتعذر دفنها لكثرتها وانشغال المقاتلين بالدفاع عن انفسهم وسرعة التقدم تجاه اهدافهم , وما اصابهم من امراض واوبئة انهكت قوى الجانبين واضعفت معنوياتهم لمواصلة النضال وزادت رغبتهم في الهدوء والسلام [٦٨] , وعندما وصلت القوات العثمانية بالقرب من مدينة صنعاء انسحبت قوات الامام يحيى في صباح ٥ نيسان عام ١٩١١ من جميع مراكزها واتجهت نحو شمال اليمن , فدخلت القوات العثمانية المدينة [٦٩].

والثابت أن دخول عزت باشا وقواته صنعاء ونجاحه في إنهاء حصارها , لم يكن نهاية المطاف للمسألة اليمنية , اذ كان عليه مواجهة العديد من الامور المعقدة والصعبة , لكنه استطاع ان يؤكد نفوذ الدولة على الساحل ولاسيما في الحديدة , ثم على المدن والمراكز الواقعة على الطريق مابين الحديدة وصنعاء , فهو لم يخضع اليمن تماماً , وما زال الامام يحيى له النفوذ الاكبر على الهضبة والجبال , فمعظم المراكز من تلك المناطق مازالت تحت سيطرة رجال الامام او القبائل الموالية له [٧٠] .

عقد صلح دعان ١٩١١

اضطرت الدولة العثمانية الى إختيار طريق الصلح والمهادنة مع الثوار اليمنيين بعد ان تأكدت من خطأ سياسة القهر والقمع والاخضاع الحربي كوسيلة لا قرار الامور في اليمن , لاسيما بعد ان ذاق جنودها الأمرين في أثناء الحروب والمعارك العنيفة التي تواجهوا فيها مع القبائل اليمنية [٧١] .

كان عزت باشا قائداً محنكاً وإدارياً من الدرجة الاولى , وقد استغل فصاحته وبلاغته في التقرب من الامام يحيى مزوداً بسلطات واسعة لحل مسألة اليمن , وقد اختار طريق الصلح مستجيباً للحظة التاريخية التي يعيشها هو ودولته واهالي اليمن , فتطور احداث اليمن منذ تولي الامام الامامة [٧٢] .

أراد عزت باشا أن يسلك طريق الصلح في مفاوضاته مع الامام للوصول الى اتفاق يضع حداً للحرب بين الجانبين , ويعطي الامام صلاحيات اوسع في حكم المنطقة الشمالية من اليمن ويحفظ في الوقت نفسه نفوذ الدولة العثمانية فيها [٧٣].

كان عزت باشا بصحبته هيئة اركان حرب مؤلفة من عدد من الرجال المخلصين وعلى الرغم من هؤلاء جمعياً كانوا من رجال السلك العسكري العثماني , فقد كانوا يتمتعون بخبرة واسعة في المجالين الاداري والسياسي مما ساعدهم على النجاح في اداء مهمتهم [٧٤] , ومنهم عزيز علي المصري وسليم الجزائري وعصمت باشا الذين كانوا لهم دور كبير في تقريب وجهات

النظر بين الجانبين وادت الى الاتفاق , وابرزهم عزيز المصري فقد تمكن من اقناع الامام يحيى بان الحروب اذا استمرت بينه وبين الدولة العثمانية فان الدول الاجنبية سوف تحتل اليمن وعلى اساس هذه الفكرة بنى اساس الاتفاق بينهما [٧٥] .

أما موقف الامام يحيى فقد كان له الرغبة في الصلح حتى في أثناء الحرب , فالحرب لن تكون هدفه لكسب انتصارات على العثمانيين , بل حارب للدفاع عن مطالبه وأنه وافق على الصلح بل يتمناه لان حالة الحرب بصفتها حالة غير طبيعية في اي زمان ومكان , وكان له الارادة لعقد الصلح مع العثمانيين لتأكيد شخصيته التاريخية من ناحية , ومن ناحية اخرى للتفرغ لمحاربة المنافسين له في الامامة [٧٦] , وكذلك جعل الصلح ضرورياً بالنسبة له الا وهو الوضع القبلي للمجتمع اليمني كان يدفع الامام الى عقد هذا الصلح في اقرب فرصة ممكنة , لانه دائماً يحاول ارضاء القبائل الزيدية حتى لا تتخلى عنه وتلتف حول غيره من منافسين له في الامامة هذه من ناحية , ومن ناحية اخرى يستطيع احياناً ان يجذب الى جانبه القبائل السنية لتبقى له سنداً ضد العثمانيين واغرائهم بالغنائم الكثيرة التي يحصلون عليها خلال الحرب , ولكن إغراء الغنائم هذا لم يكن دائماً وفعالاً بل كان اثرها موقتاً , ومن هنا كان الامام يفضل الصلح مع الدولة العثمانية [٧٧] .

وهناك سبب رئيس في موافقة الامام يحيى على الصلح هي القبائل الزيدية واهمها , قبائل حاشد وبكيل وذي محمد وذي حسين , وهذه بالذات هي سند الامام التي استغلها في حروبه وهي عامل انتصاره , ولكن هذه القبائل قوية وتسبب مشاكل للعثمانيين , وهي في الوقت نفسه مشكلة للامام , فقوتها تحتاج الى شخصية قوية قادرة على السيطرة عليها[٧٨] .

أما العوامل التي ساعدت على اتمام الصلح فمن اهمها اولاً , قيام وسطاء بتقريب وجهات النظر بين الجانبين العثماني واليمني, وحثهما للوصول الى اتفاق يقر الاوضاع في اليمن ويحفظ في الوقت نفسه الكيان للدولة العثمانية وللامام يحيى , ومن هؤلاء السلطان احمد فضل محسن العبدلي (١٨٩٨ــ ١٩١٤) امير سلطنة لحج , اذ قام بمراسلة الامام وحثه باسم الدين الاسلامي الذي ينادي به على الاسراع في الاتفاق [٧٩] , والشريف حسين بن علي (١٩٠٨ـ ١٩٢٤) امير مكة الذي استعمل مع الامام اسلوب الترهيب عندما ذكره بضخامة القوات العثمانية , كما استعمل لغة الترغيب عندما اكد برسالته الدينية السامية على اهمية الوحدة الاسلامية وضرورتها وثانيا , اعلان ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية واحتلالها ليبيا في الاول من تشرين الاول عام ١٩١١ له الاثر في الاسراع بعقد الصلح ولها اطماع في اليمن ايضا [٨٠] .

أدت الظروف والعوامل التي بيناها الى الاسراع في عقد الصلح , اذ ذهب عزت باشا وبرفقته عدد من المسؤولين العثمانيين والعرب الى مدينة عمران ومنها الى قرية دعان [٨١] فاستقبله عدد من علمائها وشيوخها ورؤساء القبائل , وقام عزت بعقد مباحثات مكثفة مع الامام يحيى انتهت بالاتفاق على الصلح بين الجانبين , وقد عم الناس الفرح والسرور , ورأوا فيه حفظ الاموال وحقن لدماء المسلمين [٨٢] .

وقع صلح دعان في تشرين الاول عام ١٩١١ وأمده عشر سنوات , واشار في نصوصه جوهر مطالب الائمة الزيدية السابقين والامام يحيى حميد الذين كانوا لا يمانعون من الانضواء تحت تبعية الدولة العثمانية ولكن بشروط , ويعد هذا الصلح الخطوة الاولى الضرورية في الطريق نحو الاستقلال والانتصار لفكرة الدولة الذي اراد الامام تأسيسها في الامد القريب [٨٣] .

أما بنود صلح دعان فهي كالآتي :-

١-ينتخب الامام يحيى حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية بذلك , وهذه تخبر اسطنبول لتصديق شيخ الاسلام على ذلك الانتخاب .
٢- تشكيل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى الذي يقدمها الامام .
٣-يكون مركز المحكمة في صنعاء , ويختار الامام رئيسها واعضاءها وتصادق الحكومة العثمانية على تعيينهم .

٤-يرسل الحكم بالقصاص الى اسطنبول للتصديق عليه من شيخ الاسلام , وصدور الارادة السنية به وذلك بعد ان يسعى القاضي في التراضي ولا يفلح ولا ينفذ الحكم الا بعد المصادقة عليه بشرط الا يتجاوز اربعة اشهر [٨٤] .

٥- اذا ساء احد المأمورين (الحكام والعمال) باستغلال الوظيفة يحق للامام ان يعلم الولاية .

٦-يحق للحكومة العثمانية تعيين قضاة للشرع من غير اليمنيين في البلاد التي يسكنها الذين يتبعون المذهب الشافعي والحنفي

٧-تشكل محاكم مختلطة من حكام الزيدية والشافعية للنظر في دعاوي المذاهب المختلفة [٨٥] .

٨-تعيين الحكومة (محافظين) تحت اسم (مباشرين) للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى للفصل في الدعاوي الشرعية , وذلك لتقليل الجهد الذي يتكبدها اصحاب المصالح في الذهاب والاياب الى مراكز الحكومة .

٩-تعود مسائل الاوقاف والوصايا للامام .

١٠-الحكومة العثمانية تعين قضاة للشافعية والحنفية ماعدا منطقة الجبال.

١١-صدور امر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الرسوم) والضرائب الاميرية السابقة .

١٢-عدم جباية التكاليف (الرسوم) الاميرية لمدة عشر سنوات من مناطق ارحب وخولان لفقرهم ودمار بلادهم وارتباطهم التام بالحكومة [٨٦] .

١٣-تؤخذ التكاليف (الرسوم) الاميرية بحسب الشرع .

١٤-اذا حصلت شكوى من جباة الاموال الاميرية لقضاة الشرع او للحكومة فعلى هذه ان تشترك مع القضاة في التحقيق , وتنفيذ الحكم الذي تحكم به عليهم .

١٥-يحق للزيدية تقديم الهدايا للامام مباشرة او بواسطة شيوخ الدولة او الحكام .

١٦- على الامام ان يسلم عشر انتاجه للحكومة العثمانية .

١٧- عدم جباية الاموال الاميرية من منطقة جبل الشرق لمدة عشر سنوات [٨٧] .

١٨-يخلي الامام سبيل الرهائن الموجودين عنده من اهالي صنعاء وحراز وعمران والمناطق التابعة لها .

١٩-يسمح للمسؤولين العثمانيين واتباع الامام ان يتجولوا بحرية في اليمن بشرط المحافظة على الاستقرار والامن.

٢٠- يجب على الجانبين الا يتعديا على الحدود المتفق عليها بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط [٨٨] .

احتفل بعد الصلح رسمياً , إذ أمر عزت باشا بجمع الناس في ميدان صنعاء وقرأ عليهم نص الاتفاق , ثم خطب القاضي علي بن حسين المغربي احد كبار علماء صنعاء مشيداً بالصلح وداعياً الناس الى احترامه والالتزام به , وظهر الفرح والسرور على وجوه الناس , اذ انه يسمح لهم الانصراف الى شؤونهم وممارسة حياتهم اليومية واعمالهم بصورة طبيعية [٨٩] .

أدى الصلح إلى نتائج جيدة ولاسيما في إصلاح الجانب المالي وإخضاع قيمة الضرائب , وإعفاء بعض المناطق , كمنطقة آنس وخولان وارحب وغيرها من بعض الضرائب التي كانت مستحقة عليها لفقرها وحالتها المضطربة ولمدة عشر سنوات , وانه حقق العفو عن مرتكبي الجرائم السياسية التي سبقت الاتفاق , وأخلى سبيل الرهائن الموجودين لدى الامام الى غير ذلك من الاصلاحات الاخرى , واكد ان الاتفاق على سيادة الدولة العثمانية بشكل عام على اليمن وحتى المناطق التي تحت سيطرة الامام , أما بالنسبة الى الامام يحيى فهو اعطائه قدراً من الاستقلال الذاتي اشبه الى حد كبير وضع الاشراف في مكة الذين منحوا وضعاً خاصاً في بلدانهم , ولكنهم في نفس الوقت يخضعون للسيادة العثمانية [٩٠] .

إن الاتفاق لم يمنح الامام استقلالاً تاماً حتى في القسم الشمالي الذي هو تحت نفوذه , ولكنه اكسب بعض الحقوق , وجاء استجابة ملحة وضرورية لما عاناه الجانبان من ويلات الحروب , وكان خطوة اولى واساسية لخطوات بعيدة اخرى [٩١] .

ويمكن القول إن الصلح قد أفضى نتائج إيجابية كان يؤملها الجانبان , فبعد أن تبادلت قواتهما الهزيمة والنصر في المدة الماضية .

المبحث الثالث : العلاقة بين الامام يحيى حميد الدين والعثمانيين بعد صلح دعان

تميزت العلاقة بين الامام يحيى والدولة العثمانية من (١٩١١ــ ١٩١٨) , بالسلم والتعاون بعد ان كان يسودها العداء والمواجهة في المدة الماضية , وكان صلح دعان السبب الرئيس في التحول التي طرأ على تلك العلاقة ونقلها من الحالة السلبية الى الحالة الايجابية [٩٢] .

عد الصلح من اهم المعالم في تاريخ اليمن فقد وضع بالأساس للحرب الدموية بين الامام والدولة العثمانية , وحصل الامام على الحكم الذاتي في شمال اليمن وقيام العلاقات الودية بين الجانبين , واوقف العمليات الحربية ضد العثمانيين , وبدء مرحلة جديدة هامة على طريق توحيد القبائل اليمنية [٩٣].

اتخذ الامام بعد الصلح مقراً له في مدينة (خمر) التي تقع شمال اليمن , واخذ يباشر صلاحياته وسلطاته التي خصصت له بموجب الاتفاق [٩٤] , واستلم مع شيوخ قبيلتي حاشد وبكيل مساعدات مالية شهرية كبيرة تقدمها الدولة العثمانية مقابل الولاء [٩٥].

ظل الامام بعد توقيع الصلح مع العثمانيين على عهده ووفائه ولم يستجيب لإغراءات الدول الكبرى , ولاسيما بريطانيا التي كانت تضغط عليه لا دخاله الى جانبها , بل أوقف عملياته الحربية تجاه العثمانيين وعزز من تضامنه معهم واكد على ولائه لهم , لاسيما في الظروف الصعبة التي يمرون بها [٩٦] .

اراد الامام اتخاذ موقف ايجابي مع الدولة العثمانية , فقد رأى بعد عقد الصلح واصبح حليفها الجديد ان يبرهن على ولائه لها وعن استعداده لمساندتها ضد اعدائها الايطاليين الذين احتلوا ليبيا في تشرين الاول ١٩١١ , فبعث برسالة الى السلطان العثماني محمد رشاد عبر فيها عن استعداده لإرسال (مئة الف) مقاتل يمني للاشتراك مع العثمانيين في طرد الايطاليين , وقد ارسل السلطان رسالة الى الامام يشكره على ما أبداه من استعداد لمساعدة الدولة ومساندتها ضد اعدائها [٩٧].

صادقت الدولة العثمانية على توقيع الصلح الذي انجزه عزت باشا , فاتخذت اولى خطواتها للنهوض بالولاية هو عزل الوالي محمد علي باشا لكونه مصدراً للاضطراب وعينت بدلاً عنه الوالي محمود نديم [٩٨] عام ١٩١٢ , وعلى الرغم من وجود قوات عثمانية مؤلفة من فرقتين تحت امرة الوالي الا ان حالة السلم والهدوء والتعاون كانت هي السائدة بين الجانبين , إذ وزع الامام يحيى بعد المصادقة على الاتفاق منشوراً لجميع القبائل الموالية له حذرهم عدم الخروج على الدولة العثمانية والاعتداء على قواتها , والاهتمام بزراعة الارض والانصراف الى أعمالهم , فبذلك اصبح الجندي العثماني له الحق بالتجوال بحرية تامة حاملاً سلاحه الكامل في انحاء اليمن دون التعرض له [٩٩].

كان الوالي محمود نديم لا يتردد في معاقبة اي موظف عسكري أو مدني اذا اثبتت التحقيقات انه ارتكب فعلاً خاطئاً في حق الاهالي , او انه اعتدى على احد اتباع الامام بغير حق , ولذلك كان الامام يترك الوالي الفرصة للتعامل مع اية قضية تظهر في هذا الجانب بين اتباع الجانبين [١٠٠] .

إن علاقة الوالي محمد نديم تختلف عن ولاية الكثير ممن سبقه من الولاة العثمانيين , فقام علاقة تعاون حقيقية مع الامام مع احترام متبادل تطور الى صداقة ومودة حقيقية [١٠١].

وعندما وصل الفرمان السلطاني من اسطنبول عام ١٩١٣ الخاص بالتصديق على الصلح قام الوالي محمود نديم بزيارة الامام في مقر اقامته في منطقة (السودة) في شمال اليمن وسلمه القرار بنفسه واجتمع الجانبين وناقش بعض القضايا فيما بينهم , وكان الاجتماع يسوده الاحترام والمودة وحسن التفاهم والتعاون على مواجهة المشاكل [١٠٢].

لم تقتصر العلاقة الجيدة بين الامام يحيى والدولة العثمانية على تبادل الرسائل , لكنها تطورت وتوسعت في مختلف المجالات , ولاسيما في المجال الاداري والعسكري والمالي , وكان التعاون قد بدأ من خلال العمل على مواجهة واحتواء المشاكل التي كانت تظهر بين اتباعهما , فعندما بدأ الحكام والقضاة الذين اختارهم الامام وعينتهم الدولة العثمانية يمارسون اعمالهم ظهرت مشاكل مع موظفو الادارة العثمانية بسبب اختلاف المرجعية لكل جانب , فالحكام والقضاة كانت مرجعيتهم تعود الى الامام يحيى , والموظفون العثمانيون كانوا تابعين الى الادارة العثمانية , نظراً لان موظفي الجانبين يعملون في مكان واحد فقد كانت الخلافات في بعض القضايا فيما بينهم يؤدي الى تباين في وجهات النظر , واذا لم يتم معالجة ذلك فإن الاختلافات البسيطة تتطور وتتحول الى مشاكل كبيرة تحتاج الى مجهود كبير من الامام والوالي لحلها [١٠٣].

ومن المشاكل التي ظهرت بين الجانبين ما حدث عام ١٩١٤ , عندما تعرض عدد من الموظفين المرتبطين بالامام الى مضايقات واساءات من الموظفين والمسؤولين العثمانيين , فقام الامام بمخاطبة الوالي في هذا الموضوع وطلب منه اتخاذ اجراءات حازمة لمنع تكرار ذلك , فاسرع الوالي بتقديم اعتذار عن ما حصل وتعهد سوف يتأكد ويتحرى عن الحقيقة , واذا كان ذلك صحيحاً فسوف يتم اتخاذ الاجراءات الرادعة في حق من قام بهذه التصرفات [١٠٤] .

وبالرغم من عدم التزام العثمانيين بأحد شروط صلح دعان الذي خصص مساعدات مالية للامام ورؤساء قبائله [١٠٥] , اذ لم تتمكن الدولة العثمانية من دفع الرواتب عند دخولها الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) الا انه استمر في عهده وتحالفه معهم , فكان يرى من غير الحكمة ان يقف ضد الدولة العثمانية المسلمة , وقد اتخذ جانب الحياد في الحرب العالمية الاولى بالرغم من انه تجاوز هذا الحياد فأمد العثمانيين بالمساعدات المالية [١٠٦] .

بدأت أوضاع الدولة العثمانية تتدهور في ظل المشاكل العديدة التي كانت تواجهها في تلك المدة , وتأثير ذلك في عدم قدرتها على ارسال الاموال التي تحتاج اليها الولاية , وعندما شعر الامام ان الفائدة المالية اصبحت غير مجدية , وطلبت الولاية منه توفير ما تحتاج اليه من اموال نقدية او عينية كديون سوف يتم تسديدها بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى , لكن اعتبر الامام ان هذا الوضع يشير الى قرب خروج العثمانيين من اليمن , وتوفيره لما يحتاجون إليه من أموال ومواد تموينية واعتبارها ديون مؤجلة هي الثمن الذي سوف يتيح له تولي الحكم في البلاد بعد خروجهم [١٠٧] .

قامت الدولة العثمانية عام ١٩١٤بسحب بعض قواتها العسكرية الموجودة في اليمن لكن الامام اعترض على ذلك ، فابلغ الوالي محمود نديم وزارة الحربية بذلك ، وبعد التشاور مع المسؤولين في الوزارة تم تأجيل سحب القوات العثمانية استجابة لرغبة الامام فقام الوالي بتبليغه بذلك , كما اتفق الامام والوالي على التعاون في مجال السيطرة على السلاح التي تملكه القبائل والزامهم بتسليمه إلى الدولة نظراً لخطورة انتشاره والمشاكل التي يسببها للجانبين , وكان الامام يخشى من انتشار السلاح بين أفراد القبائل لان ذلك يمكن أن يشجعها على التمرد عليه ، وقد يكون أكثر خطورة إذا خرجت الدولة العثمانية من اليمن وتولى الحكم بعدها [١٠٨].

وفي عام ١٩١٥ استقرت الاوضاع في اليمن فالامور تسير بصورة جيدة والامام والادارة العثمانية في تفاهم وتعاون وحسن جوار , وليس في البلاد ما يدعو الى القلق غير الحركة الادريسية في بلاد عسير [١٠٩].

أصبح الامام يحيى مع مرور الوقت يتدخل في بعض القضايا الخارجية خارج اطار صلاحياته , ففي احدى رسائله وجه الوالي على ضبط دخول وخروج المسافرين من عدن الى صنعاء وبالعكس , لاسيما الافراد الذين يحملون أموالاً غير معروفة

المصدر , كما اكد على التعاون في ضبط الافراد الذي يمكن ان يشكلوا خطراً على الولاية خلال ذهابهم الى مدينة عدن والعودة منها , كما كان الجانبان يتبادلان المعلومات السرية حول تحركات بعض الافراد على اي منهما ولاسيما الذين لهم اتصالات مع بريطانيا , وكان الوالي يقوم باعتقال اي فرد يطلب الامام توقيفه , وكان الامام يحيى يلقي القبض على فرد مطلوب للادارة العثمانية [١١٠] .

استطاع الامام التعاون مع الادارة العثمانية وشمل هذا التعاون صوراً مختلفة ، فكان يتم في بعض الاحيان بطريقة مباشرة من خلال ارسال قوات عسكرية وابقائها تحت سيطرته يحركها عندما يحتاجها ، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق تقديم المعلومات التي يحتاج إليها في هذا الجانب [١١١] .

كان للتعاون بين الجانبين اثره في المعارك التي خاضتها قوات الامام ضد القبائل التي تمردت عليه في بعض مناطق صعدة في شمال اليمن ، فقد قدمت الادارة العثمانية له مساعدات عسكرية مختلفة اذ قامت بإرسال قوات عسكرية تقاتل تحت امرته ، كما ارسلت له اسلحة واعتدة مختلفة فتمكن بواسطة هذه المساعدات من القضاء على تلك التمردات [١١٢] .

إن النجاح الذي حققه الامام في القضاء على القبائل التي كانت تقف ضده من وقت إلى آخر في العديد من المناطق تم بمساعدة العثمانيين ، وهذا يدل على أن القبائل التي كانت تتمرد عليه لم تتلقى أي دعم مباشر أو غير مباشر من الادارة العثمانية ، وكانت تترك وحيدة في مواجهة قوات الامام ، واذا حدث ان القبيلة المتمردة كانت على علاقة جيدة مع العثمانيين ، فأقصى ما كان يقوم به الوالي دعماً لهذه القبيلة هو التوسط لدى الامام لحل المشكلة بطريقة سلمية بين الجانبين ، كما حدث مع شيوخ قبائل (رداع , والبيضاء) عندما اختلفوا مع حاكم منطقة (النهم) [١١٣] .

حاول العثمانيون الاستفادة من موقف الامام الايجابي , فقد اتصل الوالي محمود نديم بالامام وطلب منه ان يسعى الى استمالة سلطان لحج الى جانب حكومته , لأن لحج كانت تحت السيطرة البريطانية , فقام الامام بارسال السيد محمد علي الشريف الى سلطنة لحج لا قناع سلطانها بالانضمام الى العثمانيين, ولكن الامام فشل في ذلك [١١٤].

ومن المؤشرات على تطور علاقة الامام بالادارة العثمانية وترجيح الكفة لصالحه تصرفات الوالي محمود نديم معه أثناء قيام القوات العثمانية بأي تحرك عسكري ، فقد كان يطلب من الامام الموافقة على ذلك التحرك ، وأصبحت تلك الموافقة شرطاً أساسياً للقيام بالتحرك المطلوب ، ولاسيما في المناطق التي يشرف عليها الامام [١١٥] .

شعرت بريطانيا بتطور الصلات الودية بين الامام يحيى والادارة العثمانية , فحاولت الضغط عليه بتقديم مساعدات مالية ليكون الى جانبها ونقض الاتفاق مع الحكومة العثمانية , ولكنها فشلت بعد ان رفض الامام ان ينتهك عهده مع العثمانيين , فعده البريطانيين منحازاً الى جانب العثمانيين [١١٦] .

حاولت بريطانيا من خلال سلطان لحج علي بن محمد استمالة الامام اليها ضد العثمانيين لكنها فشلت , غير انه تطلع الى الاعتماد على العثمانيين في احتواء النضال المتعاظم المعادي لبريطانيا في جنوب شبه الجزيرة العربية في تلك المدة [١١٧].

رأت بريطانيا تدعيماً لمركزها ضرورة الاتصال بالامام وكسب مودته , فأرسلت وفداً الى صنعاء يحمل رسالة من ملك بريطانيا يدعوه للتحالف معها , ولكنه اعلن رفضه الانضمام اليها ضد الدولة العثمانية التي وقع معها الصلح وان علاقته بها ودية للغاية , ولكنه رفض الاشتراك في الحرب ضد بريطانيا [١١٨] .

اعلن الامام يحيى من له الرغبة من اليمنيين التطوع للجهاد مع العثمانيين في مواجهتهم لبريطانيا في سلطنة لحج , حتى بلغ عدد المتطوعين (أربعة) آلاف ساعدوا العثمانيين في انتصارهم ضد البريطانيين واستيلائهم عليها عام ١٩١٥ [١١٩].

اعتبر المجال الصحي من أهم المجالات التي قدمت الادارة العثمانية المساعدة فيها للإمام ، فقد كانت المناطق التابعة له تفتقد لهذه الخدمة ، وقد لمس تقدم العثمانيين في هذا المجال عندما نجح أحد الاطباء العثمانيين في معالجته من مرض أصابه بتقديم أدوية حديثة ساعدته على الشفاء , كان الامام يرسل أتباعه إلى المستشفيات العثمانية بصنعاء لتلقي العلاج وقدمت له بعض الادوية كهدية , وكان التعاون في مجال الصحة خارج بنود صلح دعان ، وجاء نتيجة للعلاقة الحسنة والثقة المتبادلة بين الجانبين [١٢٠].

كان استمرار العلاقات الحسنة بين العثمانيين والامام في الحرب العالمية الاولى ذات اهمية والفضل في ذلك يعود الى الوالي محمود نديم وتصرفاته الحكيمة [١٢١].

استغل الامام يحيى الظروف الصعبة التي مرت بها الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الاولى لتكريس سلطته في مختلف مناطق الولاية ، حتى أصبح الوالي يتعامل مع الامام كموظف يعمل لديه وليس ممثلاً لدولة تحكم البلاد.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى واعلان اتفاقية مودروس في تشرين الاول عام ١٩١٨ , والتي نص احد بنودها على استسلام القوات العثمانية وانسحابها من الولايات العربية الخاضعة للعثمانيين بما في ذلك اليمن وعسير [١٢٢] .

حصل اليمن الشمالي على الاستقلال الكامل بعد انسحاب القوات العثمانية , اذ انتقل الامام يحيى من شهارة الى مدينة صنعاء , اذ اعلن حاكما على اليمن في تشرين الثاني عام ١٩١٨ , وتم الاعتراف به ليس زعيماً روحياً فقط , بل رئيس سلطة سياسية في اليمن , وبدأ مرحلة جديدة من النضال الوطني من اجل تعزيز وبناء الدولة اليمنية المستقلة [١٢٣].

المبحث الرابع : دور محمد الادريسي في اوضاع ولاية اليمن

ان دور محمد علي الادريسي وتأثيره في أوضاع اليمن بعد صلح دعان ١٩١١ من خلال نشاطه ضد الدولة العثمانية والامام يحيى ، وقيامه بتأسيس الامارة الادريسية في عسير وتهامة بدعم من إيطاليا وبريطانيا , لقد عرف الادريسي في بداية ظهوره بأنه داعية ومصلح اسلامي[١٢٤] , واستطاع ان يستغل النفوذ الروحي لأسرته , وطالب لنفسه بنفوذ زمني سياسي , وهو الذي سيجعل للادارسة خطورة سياسية يخشاها العثمانيين ويجعلهم يرسلون القوات الكبيرة لمحاربته والقضاء عليه [١٢٥] .

استقر الادريسي في صبيا مركز مدينة جيزان عام ١٩٠٧ [١٢٦] , فاستغل الفوضى والاضطرابات المستمرة التي تعاني منها منطقة عسير وكذلك معاناة الناس من السياسة العثمانية , وضعف قواتهم وعجزها عن القيام بالمهام الملقاة على عاتقها , وعدم تمكنهم من السيطرة على جميع المنطقة , فضلا عن استشراء الفساد بين بعض موظفو الادارة العثمانية , فقد أدت هذه الاوضاع غير المستقرة الى تهيئة الفرصة المناسبة للادريسي[١٢٧] بنشر دعوته عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر , والقاء المواعظ الدينية في المنطقة , ونشر النصائح بين الناس[١٢٨] , فقد استطاع الادريسي أن يستغل ثقافته الواسعة وقدرته الادارية والسياسية في استمالة القبائل الرافضين للسيطرة العثمانية في المنطقة مما زاد من قوته وخطورته , فقد صار الادريسي شخصية قوية ولها طموح سياسي قوي , إذ أصبحت خطورتها ليس في منطقة عسير نفسها بل في المناطق المجاورة , كامارة

الحجاز في الشمال , واليمن في الجنوب , والامارة السعودية في الشرق , ولم يهتم به العثمانيين فاعتبروه رجل دين سرعان ما ينتهي امره [١٢٩] .

أما الامام يحيى فكان اكثر ادراكاً لحقيقة الادريسي وخطورة حركته , وكان يعد منطقة عسير جزءاً من اليمن , فعندما رأى ان الادريسي نجح في نشر دعوته خارج جيزان , فوسع نفوذه شمالا وجنوبا حتى ان بعض القبائل الموجودة في مدينة صعدة اعتنقت تعاليمه واعلنت ولاءها له , الامر الذي خشى منه الامام فاضطر الى التعاون معه ليستفيد منه في حماية مؤخرته ان اراد التوجه الى صنعاء , واتفق معه على اساس الهدف الواحد هو مواجهة العثمانيين[١٣٠] .

أدى انشغال الدولة العثمانية في ثورة جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد التي أدت الى اقالته من الحكم , فاستغل الادريسي هذه الاحداث وطلب من قبائل صبيا مبايعته , إذ أعلن استقلاله في كانون الأول من العام نفسه , وكان هدفه هو لفت نظر الدولة العثمانية اليه وحصوله على منصب معترف به [١٣١].

أصبحت تحركاته أكثر استفزازاً للادارة العثمانية , فبدأ حاكم عسير سليمان باشا يشعر بخطر هذه التحركات فقدم تقارير عديدة للحكومة العثمانية حول ما يحدث بالمنطقة من تصرفات يقوم بها الادريسي , واشار فيها الى الخطر الذي يشكله , ولكن هذه التقارير لم تهتم بها الحكومة لانشغالها بالاحداث التي تجري في اسطنبول , ولم ترى في تلك المرحلة ان الادريسي يشكل خطراً على الوجود العثماني في اليمن مقارنة بالامام يحيى الذي اثارت تحركاته القلق [١٣٢] .

ولما تكررت التقارير التي وصلت الدولة العثمانية من حاكم عسير عن نشاط الادريسي المتزايد وعداءه للدولة [١٣٣] ادركت مدى خطورته على مصالحها في المنطقة , فأرسلت وفداً برئاسة سعيد باشا وعضوية توفيق الارناؤوطي شيخ الطريقة الاحمدية في اسطنبول للوقوف على حقيقة الادريسي ومعرفة نواياه , فوصل الوفد الى مدينة جيزان في اوائل عام ١٩١٠ , وتقرر تحديد مكان الاجتماع بين الجانبين في منطقة (الحفائر) قرب جيزان , واستطاع الادريسي من اقناع الوفد بحسن نواياه تجاه العثمانيين وانتهت المفاوضات بالاتفاق على بعض الامور [١٣٤] :

١- أن يعترف الادريسي بتبعيته للدولة العثمانية .
٢- أن يمنح الادريسي رتبة قائمقام ويقوم كموظف عثماني يتولى شؤون مدينة صبيا وما يتبعها من سامطة جنوبا الى حلي بن يعقوب شمالا .
٣- أن يسمح الادريسي للدولة العثمانية باقامة مراكز كمركية في موانئ جيزان يديرها مأمورون من قبل الدولة [١٣٥]
٤-يتعهد الادريسي بمد اسلاك البرق عبر جيزان لربط اليمن بالحجاز.
٥- تتعهد الحكومة بالغاء الضرائب , وتكتفي بما تحصله من زكاة شرعية على الحاصلات الزراعية والمواشي , وينوب الادريسي عنها في استحصالها , مقابل حصوله على الثلث لتغطية نفقاته ونفقات اقامة جيش وطني من اهل البلاد , لاقرار الامن والاوضاع في البلاد الذي اصبح مسؤولاً رسمياً عنها [١٣٦] .

سلم سعيد باشا نسخة من الاتفاقية الى حاكم عسير سليمان باشا , وبهذا الاتفاق تكون الدولة العثمانية قد اعترفت بكيان الادريسي وشرعيته ووجوده حاكما لها ماعدا مدينة جيزان وان يكون تابعا لها , وبدأ الادريسي بتنفيذ بنود الاتفاق وارسل نوابه الى المناطق التابعة له , كما اخذ بموجبها وبالصلاحيات المخولة التي منحها أن يقوي مركزه على حساب العثمانيين [١٣٧] .

وقد رأى حاكم عسير أن الاتفاقية زادت من خطر الادريسي وقوته , فقام بإرسال تقاريره للدولة العثمانية من وقت لآخر لتحذيرها من خطورته المتزايدة لكنها لم تهتم بها , فاراد كشف هذه الحقيقة للدولة , فقرر القيام برحلة الى منطقة عسير لدراسة الموقف والوقوف على مجريات الامور, فادهشه قواعد الدولة التي انشأها الادريسي والامكانيات الضخمة التي تنهال

عليه وتزيد من قوته , فتوجه الى جيزان ومنها الى منطقة كمران فقد اتصل باسطنبول عن طريق البرق البحري , ولم تفلح محاولات حاكم عسير لاثارة الدولة العثمانية [١٣٨] .

والى جانب محاولات حاكم عسير لمحاربة نفوذ الادريسي , فهناك دور آخر في هذا السبيل قام به خصمه احمد الشريف الذي تمرد عليه في صبيا وقدمه للمحاكمة التي قضت بقطع يديه , وبعد مدة من الاختفاء اتجه الى اسطنبول , واظهر للحكومة ما اصابه من قبل الادريسي نتيجة اخلاصه لها [١٣٩] , فأصدرت الدولة العثمانية اوامرها باستدعاء الادريسي للحضور الى العاصمة بصفته احد موظفيها للتحقيق معه في قضية احمد الشريف لكنه رفض ذلك , فرأت الدولة في هذا الرفض مسوغاً للقيام بحملة ضده [١٤٠] .

قامت الدولة العثمانية بتجهيز حملة عسكرية بقيادة محمد راغب للقضاء على الادريسي فاستقرت في جيزان , وخولته ان يبدأ بمراسلته لغرض الوصول الى اتفاق لكن هذه المراسلات فشلت , وكان الادريسي على علم تام بالحملة وتمكنت قواته والقبائل المتحالفة معه من حصار القوات العثمانية في جيزان , وبعد ان ضاق بها الحصار ومنع الماء وكل ما يرد اليها براً , خرجت وسارت باتجاه مواقع الجيش الادريسي دون مقاومة حتى وصلت بالقرب منه [١٤١] فبدأ القتال بين الطرفين وسقط من العثمانيين ما يقارب(الفي قتيل) , وانسحبت القوات العثمانية من جيزان الى جزيرة فرسان فاحتل الادريسي جيزان واستولى على الاسلحة والاعتدة , وبقيت القوات في جزيرة فرسان ثلاثة اشهر ثم انسحبت منها الى القنفدة , وقصف الاسطول الايطالي السفن الحربية الراسية في ميناء القنفدة فدمرها , الا ان الحامية لم تستسلم بل بقيت في حالة حصار من البر والبحر[١٤٢] .

وفي نهاية عام ١٩١٠ اتفق الامام يحيى مع الادريسي على التعاون في مواجهة القوات العثمانية وإعلان الحرب عليها من الطرفين في وقت واحد , اذ ان التنسيق قد ساعدهما على تحقيق انتصارات على تلك القوات , واستطاع الامام حصار مدينة صنعاء عاصمة اليمن , وفي الوقت نفسه تمكن الادريسي من احكام الحصار على مدينة ابها مركز عسير[١٤٣] , وازاء تطور الاوضاع في بلاد عسير لصالح الادريسي , فقامت الدولة العثمانية بإرسال قواتها بحراً الى القنفدة لنجدة حاميتها المحصورة في ابها , وكلفت أمير مكة حسين بن علي بمشاركة القوات العثمانية لمحاربة الادريسي , وسار الامير بقوات من العرب والجنود العثمانيين ومعه ابناءه فيصل وعبدالله , وعندما وصل الى حدود القنفدة تحرك الجيش العثماني المرابط فيها بقيادة نشأت باشا [١٤٤] , وتجمعت القوتان في (وادي حلي بن يعقوب) , ثم اتجهت نحو القوات الادريسية وانتصرت عليها , وتقدمت داخل عسير في ملاحقة اثر الجيش الادريسي المنهزم , كما قام طرادان حربيان بقصف الموانئ الواقعة تحت النفوذ الادريسي وهي (البرك , والقمحة , والشقيق) , واستطاعت القوات العثمانية من انهاء حصار مدينة ابها , واضطر الادريسي الانسحاب الى الجبال المجاورة والتحصن فيها [١٤٥].

وعندما وصل انباء عقد صلح دعان ١٩١١ الى الادريسي شعر بأنه ترك وحيداً في مواجهة العثمانيين الذين اعترفوا بوضع الامام يحيى الخاص باليمن دون ان يمنحوه نفس الحقوق في عسير , فقد حقد الادريسي على حليفه الامام الذي تخلى عنه واتفق مع العثمانيين واصبح حليفهم , فشكل خطراً جديداً عليه [١٤٦] .

عاد الى تهامة بعد اعلان الحرب بين ايطاليا والدولة العثمانية في تشرين الاول ١٩١١, واتفق مع الحكومة الايطالية التي امدته من مصوغ وهي احدى مستعمراتها التي تقع على الساحل الافريقي للبحر الاحمر بكل ما يحتاجه من الاموال والاسلحة والاعتدة والمؤن , وكذلك قامت بمساندته من البر والبحر , فشن الحرب وسيطر على ميدي وجيزان , وكانت القوات الايطالية تقوم بقصف القوات العثمانية من البحر وهو يحاصرها من البر حتى استولى على تهامة وسواحلها [١٤٧] .

وعندما اتفق الادريسي مع الحكومة الايطالية على التعاون ضد الدولة العثمانية , تم اخفاء هذا التعاون عن الامام يحيى , وعندما وجه اليه خطاباً في هذا الامر اعتبره الادريسي امراً خاصاً به لا يحق لأي احد ان يتدخل في شؤونه , وبعد عقد

صلح دعان قام عزت باشا بنشر بنوده في صحيفة صنعاء وارسلها الى الامام يحيى دون انتظار الموافقة الرسمية من الدولة , وطلب منه بتنفيذ نصوصه , كما طلب منه الاسراع باعلان الحرب على الادريسي باسرع وقت ممكن , بسبب اتفاقه مع ايطاليا ضد الدولة , لكن الامام رفض هذا الطلب مبرراً بعدم وجود دليل على ذلك الاتفاق , ووعده بالتحقيق في الامر ثم يتخذ قراره في هذا الامر(١٤٨) .

وقد اقتنع الامام يحيى بمحاربة الادريسي , عندما أرسل قواته إلى منطقة (جماعة) في جهات صعدة لمحاربة قوات الامام المتواجدة في تلك المنطقة مستعيناً بالمساعدة التي قدمتها ايطاليا له من سلاح وعتاد ومؤن , فاستغل الفرصة الملائمة واعلن الحرب عليه , بسبب اعتداءه على المناطق التابعة له , وجهز قواته وأمده العثمانيون بالسلاح والعتاد ودارت معركة بين الجانبين انتهت بانتصار قوات الامام وانسحاب قوات الادريسي (١٤٩) .

شكلت المواجهات بين الامام يحيى والادريسي في منطقة جماعة بداية مرحلة جديدة في العلاقات بين الجانبين التي تميزت بالعداء والمواجهات العسكرية , وقد طلب الامام المساعدة من الدولة العثمانية التي أرسلت له الجنود والاسلحة والاعتدة للمشاركة معه في محاربة قوات الادريسي والقبائل الموالية له في عدد من مناطق صعدة , وهي (الشاهل , والشرف) وغيرها من المناطق وتبقى تحت امرته , واستمرت المواجهات بين الجانبين وكانا يتبادلان الانتصارات والهزائم (١٥٠) .

لم تمنع تلك المواجهات الامام او العثمانيين من القيام بالصلح , فقد عادت الدولة العثمانية اتصالها بالادريسي بشان اجراء مفاوضات لعقد اتفاق وحسم الخلاقات بينهما وذلك في عهد والي اليمن محمود نديم عام ١٩١٣ , فقد تراس الوفد وضم عدد من المسؤولين اليمنيين والعثمانيين , وعندما وصلوا الى مدينة (اللحية) أرسل مجموعة منهم الى مدينة جيزان لتحديد اللقاء , وبعد ان وافق على ان يكون اللقاء في مدينة ميدي عاد وطلب ان يكون في مدينة جيزان فتم ذلك (١٥١) , وعرض عليه شروط من اهمها , مساعدة شهرية بشرط وقف العمليات الحربية ضد العثمانيين ويمتنع عن اي تحالف مع الدول الاجنبية , وبالمقابل طرح الادريسي شروطاً منها , طالب بالحكم الذاتي التام ضمن الدولة العثمانية , وعدم تدخل العثمانيين في الشؤون الداخلية لامارته , وحق تشكيل قوات مسلحة خاصة به , وافتتاح دوائر الكمارك في موانئ عسير , وتوقيع العقود التجارية مع الدول الاجنبية ومنحها الامتيازات , رفضت الدولة العثمانية هذه الشروط وفشلت المفاوضات (١٥٢).

إن الادريسي قد استفاد من الاموال والسلاح الذي حصل عليه من ايطاليا في الوقوف مرة اخرى , فأخذ يمد نفوذه هنا وهناك بقدر استطاعته , واستخدم هذه الاموال من تقريب القبائل اليه , وقد استمر في مواجهة العثمانيين ومعادياً الامام يحيى حتى قيام الحرب العالمية الاولى (١٥٣) .

وعندما شعر الادريسي ان ايطاليا استنفذت اغراضها من التحالف معه بعد احتلالها ليبيا عام ٩١١, فإنه بحث عن حليف جديد , لانه عرف بخبرته السياسية ان الدولة العثمانية لن تغفر له تحالفه مع الايطاليين , ومهاجمة قواتها في عسير وهزيمتها , فاستمر على سياسة العداء للعثمانيين , واسرع في تلبية نداء بريطانيا وتحالف معها (١٥٤) , وعقدت معاهدة بينهما في نيسان عام ١٩١٥ من اهم بنودها هي , طلبت منه محاربة العثمانيين ومحاولة طردهم من قواعدهم في اليمن ويوسع امارته على حساب العثمانيين , وتعزيز ميثاق الصداقة بين الادريسي ورجال قبائله وبريطانيا , وعدم اثارة المشاكل والعداء مع الامام يحيى , وتلتزم بريطانيا بحمايته من اي هجوم بحري يقوم به الاعداء لضمان استقلاله بامارته , وان تساعده بالاموال والمعدات الحربية طيلة ايام الحرب , ومنحه الحرية الكاملة في الملاحة البحرية والتعامل التجاري بين موانئ عسير وعدن , وإعلان هذه الاتفاقية حتى يتم المصادقة عليها من قبل الحكومة البريطانية (١٥٥) .

استطاع الادريسي بموجب هذه الاتفاقية احتلال مدينة (اللحية) الساحلية عام ١٩١٥ وإخراج العثمانيين منها , وذلك بمساعدة الاسطول البريطاني التي قام بقصفها من البحر الاحمر اكثر من مرة وقتل بسببه العديد من سكانها العرب , اذ رفضه الادريسي وطلب منهم عدم تكرار ذلك , وان يكون التركيز على القوات العثمانية في الساحل(١٥٦).

وقد ظلت بريطانيا في أثناء الحرب العالمية الاولى تساند الادريسي وتزوده بالمساعدات المطلوبة بموجب معاهدة ١٩١٥ , كما عززت تحالفها مع الادريسي فعقدت معاهدة اخرى في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٧ , اعترفت بسيطرته على جزر فرسان اذ اصبحت جزءاً من ممتلكاته , وكانت بريطانيا تعد الادريسي حليفاً لها ولم تعده أميراً خاضعاً لحمايتها , فانها اكدت في هذه المعاهدة الاخيرة استقلاله بجميع تلك الممتلكات (١٥٧) .

واستمرت الحروب والمناوشات بين الادريسي من جهة والامام يحيى يسانده العثمانيين من جهة اخرى , وقد اصطدم اتباع الامام مع الادريسي في بلاد حجور وخولان الشام ورازخ في شمال اليمن وغيرها من المناطق الاخرى , وقد استمر الصراع بين الادريسي والعثمانيين في عسير حتى خروجهم منها عام ١٩١٨, بينما استمرت الحروب بين الامام والادريسي في اليمن بعد خروج العثمانيين منها (١٥٨) .

الخاتمة :

كان أثر صلح دعان واضحاً في أوضاع ولاية اليمن ١٩١١ ــ ١٩١٨ , اذ شكل منعطفاً مهماً في العلاقة بين الامام يحيى حميد والدولة العثمانية وتحولت تلك العلاقة بموجبه من الخلاف والمواجهة وقيام الثورات الى الاتفاق والتعاون واستطاعت الدولة العثمانية الحصول على حليف قوي في المنطقة ساعدها على مواجهة ايطاليا وبريطانيا.

كانت الظروف الداخلية والخارجية للدولة العثمانية قد ساعدت على انجاز هذا الصلح , وكان للقائد أحمد عزت باشا ورجاله دور رئيس في نجاح المفاوضات التي جرت بينه وبين الامام يحيى حميد .

كان الصلح اعترافاً رسمياً بسلطة الامام يحيى في مناطق وسط وشمال اليمن , فقد منحه سلطات إدارية واحكاماً شرعية , واحتفظ العثمانيون فقط بالسيادة الرسمية عليها .

استطاع الامام بعد الصلح ان يحافظ على أمواله وأتباعه وعدم مواجهة العثمانيين ويرضى باعترافهم بوضعه الخاص , والعمل على توطيد نفوذه بالتقرب الى القبائل بطريقة مباشرة او غير مباشرة , ومحاولة القضاء على منافسيه في الداخل ولاسيما محمد الادريسي .

اتسمت العلاقات بينهما بالسلم والتعاون وظل على عهده ووفائه , ولم يستجيب لإغراءات الدول الاجنبية لاسيما بريطانيا وساند الدولة العثمانية في حربها ضد ايطاليا عام ١٩١١ .

في تلك المدة كانت العلاقة بين الامام يحيى والادارة العثمانية في مجملها ايجابية للجانبين ، فقد استطاع بناء الثقة بينهما ، مما ساعدهما على التعاون في مواجهة المشاكل والقضايا التي كانت تظهر في الولاية من وقت إلى آخر وتعاون الجانبين في ضبط حدود اليمن ومواجهة القبائل التي كانت تتمرد على الامام من وقت الى آخر وحصر السلاح بيد الدولة ، وكذلك استفادت الدولة العثمانية من علاقتها الجيدة مع الامام بالبقاء في اليمن إلى نهاية الحرب العالمية الاولى(١٩١٤ ـ ١٩١٨) دون أن تتعرض قواتها أو موظفوها لمشاكل بسبب الحرب , وعدم اهتمام الدولة العثمانية فيما يجري في اليمن , مما دفع الادارة العثمانية وقواتها في اليمن الى التوجه لمواجهة بريطانيا والادريسي في عسير, ومن النتائج المباشرة للحرب العالمية الاولى هو حصول ولاية اليمن الشمالي على استقلالها بعد خروج العثمانيين منها بموجب اتفاقية مودروس عام ١٩١٨ .

كان الادريسي في وضع ملائم ولم يخش ان ترسل الدولة اليه القوات لانه باستطاعته أن يقاومها , وعقد اتفاقية مع الدولة العثمانية اعترفت بكيان الادريسي وشرعيته في عسير, واخذ يوسع نفوذه في المناطق التي تحت السيطرة العثمانية , وتعد المدة ما بين توقيع صلح دعان وقيام الحرب العالمية الاولى ١٩١١ ـ ١٩١٤ مدة بناء الدولة الادريسية , اذ استغل تحالف الامام يحيى مع العثمانيين فتحالف بدوره مع ايطاليا فأمدته بالاسلحة والمساعدات ثم مع بريطانيا , ولم تنته الحرب العالمية الاولى الا وقد اصبح قوة كبيرة , فقد استمرت الحروب بين الادريسي والامام يحيى في اليمن بعد خروج العثمانيين منها.

إن اهم ما أسفرت عنه الحرب العالمية الاولى فيما يتعلق باليمن تجزئة البلاد الى ثلاثة اقسام , الاول : اليمن الجنوبي تحت السيطرة البريطانية , والثاني : وسط وشمال اليمن سيطر عليها الامام يحيى حميد ماعدا ميناء الحديدة التي احتلته بريطانيا عام ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب , والثالث : عسير الذي تمكن الادريسي من اقامة كيان مستقل فيه بدعم بريطانيا .

الهوامش :-

١-فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨ , الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة , ١٩٨٦ , ص٢٠ـ٢١ .

٢- غانم محمد رميض , المجالس المحلية في اليمن ـ دراسة في تطور التجربة الديمقراطية , مجلة كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية , العدد ٥١ , ٢٠٠٧ , ص٣٧ .

٣-الزيدية , تنتسب الزيدية الى الامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) , واقاموا دولة لهم في اليمن , واول من خرج منهم داعياً بمدينة صعدة هو يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي , وقد بايعه الناس اماماً عام ٩٠٠م , وهكذا بدأت الدعوة الزيدية تنتشر في اليمن في القرن العاشر الميلادي , للمزيد ينظر: محمد يحيى زبارة , تاريخ الائمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث , تقديم محمد زينهم محمد , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , ١٩٩٨ , ص٥ .

٤-سيد مصطفى سالم , تكوين اليمن الحديث – اليمن والامام يحيى ١٩٠٤-١٩٤٨ , ط٤ , دار الامين للنشر والتوزيع , القاهرة , ١٩٩٣ , ص٣٠ .

٥- غانم محمد رميض , المصدر السابق , ص ٣٧ .

٦-ثامر عزام حمد , المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني لعدن ١٨٣٩- ١٨٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة تكريت , ٢٠٠٥ , ص ٢٥ .

٧-سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص٣١ .

٨-مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول , بحوث الندوة الدولية حول اليمن في العهد العثماني , المركز الوطني للوثائق , اسطنبول , ٢٠١١ , ص١٩٥ .

٩-ثامر عزام حمد , المصدر السابق – ص٦٦ .

١٠- Burry ,G.W. ;Arabia Infelix or the Turks in Yemen Macmillan, &Co , London, 1915 , p.- p.14- 15

١١-محمد الحسين غمضان , رحلة اعيان اليمن الى اسطنبول ١٩٠٧ , تحقيق وتقديم عبد الله محمد الحبشي , وحسني محمد دياب , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ٢٠١٥ , ص١٠ .

١٢-فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , علاقة العثمانيين بالامام يحيى في ولاية اليمن ١٩٠٤- ١٩١٨ , صنعاء , ٢٠١١, ص٢٥.

١٣-احمد راشد , تاريخ اليمن وصنعاء , ترجمة مديرية التطور الثقافي, ج٢, مطبعة البصرة , العراق , ١٩٨٦, ص٩٣.

١٤- Burry ,G.W , opcit , p.p . 14- 15

١٥- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص٣٢-٣٣.

١٦-يحيى محمد حميد الدين , ولد عام ١٨٦٩ في مدينة الحيمة في اليمن , وهو ابن المنصور محمد بن يحيى حميد الدين يعود نسبه الى ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) , ونشأ في مدينة صنعاء وتربى تربية اسلامية في بيت علم ودين تحت رعاية ابيه الامام المنصور , وانصبت اهتماماته على دراسة القران واصول الدين والفقه , وبويع اماما عام ١٩٠٤ بعد وفاة ابيه , وخاض معارك مستمرة مع العثمانيين حتى عقد معهم صلح دعام عام ١٩١١ , للمزيد ينظر : محمود الجبارات , دراسات في تاريخ اليمن المعاصر , دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٤ , ص ١١ ـ ١٣ .

١٧-المنصور محمد يحيى حميد الدين , (١٨٣٤- ١٩٠٤) هو والد الامام يحيى حميد الدين لقب بالمنصور يعود نسبه الى ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع), اخذ العلوم من علماء مدينة صنعاء , ومنهم والده يحيى حميد الدين , هاجر من صنعاء الى صعدة في شمال اليمن عام ١٨٨٩ , وبدا ينشر دعوته , وحكم اليمن (١٨٨٩ – ١٩٠٤) وخاض معارك ضد العثمانيين , للمزيد ينظر : محمد يحيى زبارة , ائمة اليمن في القرن الرابع عشر الميلادي ـ الامام المنصور محمد يحيى حميد, المطبعة السلفية , القاهرة , (د . ت) , ص ٣-٧ .

١٨-فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص١٩٩.

١٩-احمد فيضي , من اشهر ولاة العثمانيين في اليمن تولى الولاية ثلاث مرات , الاولى (١٨٨٤- ١٨٨٦) والثانية (١٨٩١- ١٨٩٨) والثالثة (١٩١٠- ١٩١٢) , ينظر : فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٤٣.

٢٠-السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ –١٩١٨) , تولى الحكم الدولة العثمانية في اب ١٨٧٦ , وهو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية , تلقى تعليمه في القصر , وكانت الدولة تمر في عهده بالمؤامرات , وقام باعلان الدستور العثماني عام ١٨٧٦ , وشهد عهده تدخل الدول الاوربية من اجل تقسيم الدولة العثمانية , , وقامت ثورة ضده ادى الى اقالته من الحكم عام ١٩٠٩ , ينظر : سنان صادق جواد , موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية – ١٨٨٩- ١٩١٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٥ , ص٧٥ .

٢١-فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ١٩٩ .

٢٢-محمد يحيى الحداد , التاريخ العام لليمن , مج٣ , مكتبة الارشاد , صنعاء , ٢٠٠٨ , ص٢٣٤ .

٢٣-المصدر نفسه , ص٢٣٧ .

٢٤-عبد الله عبد الكريم الجغرافي , من تاريخ اليمن , مؤسسة دار الكتاب الحديث , ط٢ , بيروت , ١٩٨٤ , ص٢٢٣ ــ ٢٢٤ .

٢٥-عبد الواسع يحيى الواسعي , تاريخ اليمن – المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن , المطبعة السلفية , القاهرة , ١٩٢٨ , ص١٥٥.

٢٦-محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص٢٣٨ , فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ١٥٤-١٥٥ .

٢٧-عزيز خودا بيرديف , الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن , دار التقدم , موسكو , ١٩٩٠ ص ٤٠ .

٢٨-محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص٢٤٠ .

٢٩-فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٠١ .

٣٠-محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص٥-٦ .

٣١-سعد محمد الشرقي , عشر سنوات من سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ـ المسمات تقييد حوادث انشاء تجديد الجهاد الثاني , مج١ , تحقيق محمد عيسى صالحية , بيروت , ٢٠٠٤ , ص١١.

٣٢-محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص٦-٧ .

٣٣- عبد الله عبد الكريم الجغرافي , المصدر السابق , ص ٢٣٢ .

٣٤- سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص ١٩ .

٣٥- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ١٦٧.

٣٦- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص١٠.

٣٧- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ٧٨-٧٩.

٣٨- عبد الواسع يحيى الواسعي , المصدر السابق , ص ٢٠٩ .

٣٩- نزيه مؤيد العظم , رحلة في بلاد العرب السعيدة , مطبعة عيسى بابي الحلبي , القاهرة , ١٩٣٨ , ص١٥٨ .

٤٠- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ١٧٠ـ ١٧١.

٤١- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , , ص١١ــ ١٢ .

٤٢- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , الامام الشهيد يحيى حميد الدين , ج١ , دار المعارف , (د . م) , ٢٠١٥ , ص ١٢٤ .

٤٣- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ١٧٥ .

٤٤- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٤٥- جمعية الاتحاد والترقي , هي الجمعية التي اسسها مجموعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية في اسطنبول في ايار ١٨٨٩ , هدفها عزل السلطان عبد الحميد واعادة العمل بالدستور لعام ١٨٧٦, للمزيد ينظر : سنان صادق جواد , المصدر السابق , ص٧٨ .

٤٦- المصدر نفسه , ص ١٩٨ .

٤٧- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول , المصدر السابق , ص١٢.

٤٨- توفيق علي برو, العرب والترك في العهد الدستوري العثماني – ١٩٠٨- ١٩١٤ , دار الهنا , (د . م) , ١٩٦٠ , ص١٥٠ .

٤٩- سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص ١١٦ـ ١١٧ .

٥٠- توفيق علي برو , المصدر السابق , ص ١٥١ .

٥١- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ٢٢٨-٢٢٩.

٥٢- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول , المصدر السابق , ص١٣.

٥٣- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ١٠٥.

٥٤- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول , المصدر السابق , ص١٣-١٤ .

٥٥- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ١٠٥ـ ١٠٦ .

٥٦- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٦١ـ ٢٦٣ .

٥٧- سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص ١٤٧- ١٤٨ .

٥٨- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص ٢٦٢ .

٥٩- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ١١٨ـ ١١٩ .

٦٠- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٦٦.

٦١- احمد عزت باشا , (١٨٦٤-١٩٤٧) ولد في مدينة ناسليج في تركيا وكان من القادة العثمانيين البارزين , وصل الى اليمن عام ١٩٠٥ لانهاء حصار مدينة صنعاء , واستمر فيها لعدة سنوات تولى منصب الصدر الاعظم في الدولة العثمانية عام ١٩١٨ , ينظر : فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢١٨ .

٦٢- توفيق علي برو , المصدر السابق , ص ٢٣٦ .

٦٣- محمد الادريسي , (١٨٨٦- ١٩٢٣) هو اول مؤسس للامارة الادريسية في عسير , ولد في مدينة صبيا وتلقى تعليمه الاول فيها , ثم ذهب الى مكة المكرمة , وانتقل الى القاهرة ودرس في جامع الازهر, ثم الى السودان ورجع الى مسقط رأسه مدينة صبيا فوجدها في حالة فوضى واضطراب فاستغل ذلك الوضع وبدأ ينشر دعوته , ينظر : هاشم سعيد النعمي , تاريخ عسير في الماضي والحاضر , الرياض , ١٩٩٩ , ص٢٩٥ـ ٢٩٦ .

٦٤- سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص١٤٨ـ ١٤٩ .

٦٥- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , , ص١٨.

٦٦- توفيق علي برو , المصدر السابق , ص ٢٣٨ .

٦٧- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ١٢٠ .

٦٨- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٦٩.

٦٩- Wavel, A. j .B. ; A Modern pilgrim in Mecca . Constable & Co . Ltd . London . 1954 . Second Ed , p.278 .

٧٠- سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص١٥٠ , سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص١٢٢ ـ ١٢٣.

٧١- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٧٧.

٧٢- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص١٢٨ .

٧٣- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق, ص١٩ ـ ٢٠ .

٧٤- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٧٩.

٧٥- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص١٢٩ ـ ١٣٠ .

٧٦- المصدر نفسه , ١٣٦ ـ ١٣٧ .

٧٧- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٨٤.

٧٨- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص١٣٨.

٧٩- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق, ص٢١ .

٨٠- فاروق عثمان اباظة , المصدر السابق , ص٢٨٦.

٨١- قرية دعان , تقع في جبال عيال يزيد الواقعة شمال صنعاء وتبعد عن مدينة عمران ١٨ كم : ينظر , سعد محمد الشرقي , المصدر السابق , ص ١٧٣ .

٨٢- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق, ص٢٠ .

٨٣- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٢٧ .

٨٤- عبد الواسع يحيى الواسعي , المصدر السابق , ص ٢٣٦- ٢٣٧ .

٨٥- محمد علي البار, عدن لؤلؤة اليمن – عدن في العصر الحديث من الاحتلال البريطاني ١٨٣٩ الى الاستقلال ١٩٦٧ , ج٣ , كنوز المعرفة , جدة , ٢٠١٢ , ص ١٩١.

٨٦- عبد الله السلال واخرون , ثورة اليمن الدستورية , دار الاداب , بيروت , ١٩٨٥ , ص١٧٦ .

٨٧- عبد العزيز قائد المسعودي , اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة -١٩١١- ١٩٦٧, مركز الدراسات والبحوث اليمني , صنعاء , ٢٠٠٤ , ص ٢٢ .

٨٨- عبد الواسع يحيى الواسعي , المصدر السابق , ص ٢٣٩.

٨٩- المصدر نفسه , ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .

٩٠- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق, ص٢٩ .

٩١- المصدر نفسه .

٩٢- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٤٨ .

٩٣- عزيز خودا بيرديف , المصدر السابق , ص٤٩ .

٩٤- سلفاتور ابونتي , مملكة الامام يحيى ـ رحلة في بلاد العربية السعيدة , ترجمة طه فوزي , مطبعة السعادة , مصر, ١٩٤٧, ص٥٦.

٩٥- عزيز خودا بيرديف , المصدر السابق , ص٥٤- ٥٥ .

٩٦- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٢٦ .

٩٧- فاروق عثمان اباظة , عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر – ١٨٣٩ – ١٩١٨ , الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة , ١٩٨٧ , ص ٥٤٦ .

٩٨- محمود نديم (١٨٦٥- ١٩٤٠) , ولد في دمشق لام تركية من الموصل واب تركي تلقى علومه في سوريا واتقن العربية , واصبح واليا على اليمن (١٩١٢ ـ ١٩١٨) , ينظر : فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص٨٩ .

٩٩- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٢٥ـ١٢٦ .

١٠٠- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٥٤ .

١٠١- محمد علي البار , المصدر السابق , ص ٢٣٢ .

١٠٢- عبد الله محسن العزب , تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الاخير) , تحقيق عبد الله محمد الحبشي , الهيئة العامة للكتاب , الاسكندرية , ١٩٨٦ , ص٩٦-٩٧ .

١٠٣- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٥٢ـ ٢٥٣ .

١٠٤- المصدر نفسه , ص ٢٥٣ .

١٠٥- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٣١.

١٠٦- احمد عبيد دغر , اليمن تحت حكم الامام احمد (١٩٤٨-١٩٦٣) مكتبة مدبولي ,القاهرة ,٢٠٠٤ , ص١٧٧.

١٠٧- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٤٨-٢٤٩ .

١٠٨- المصدر نفسه , ص ٢٦٣-٢٦٤ .

١٠٩- عبد الله محسن العزب , المصدر السابق , ص١٠٣.

١١٠- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٥٦ .

١١١- المصدر نفسه , ص٢٥٩ .

١١٢- المصدر نفسه .

١١٣- المصدر نفسه , ص٢٦٢ .

١١٤- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٤٠ .

١١٥- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٦٢ .

١١٦- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٤٠ .

١١٧- ايلينا جولوبوفسكايا , ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن , ترجمة قائد محمد طربوش , ومراجعة حسن عزعزي , دار ابن خلدون , بيروت , ١٩٨٢ , ص ١٧.

١١٨- محمد علي البار , المصدر السابق , ص ٢٢٥ – ٢٢٦.

١١٩- احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , المصدر السابق , ص١٣١ .

١٢٠- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص٢٦٤- ٢٦٥ .
١٢١- هارولدف يعقوب , ملوك شبه الجزيرة العربية , ترجمة احمد المضواحي , دار العودة , بيروت , ١٩٨٣ , ص ٢٠٨ .
١٢٢- مجموعة من المؤلفين السوفييت , تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢ , ترجمة محمد علي البحر , مراجعة محمد احمد علي , مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٩١ , ص٧ .
١٢٣- ايلينا جولوبوفسكايا , المصدر السابق , ص ١٨ .
١٢٤- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٦٦.
١٢٥- سيد مصطفى سالم , المصدر السابق , ص ٨٩ .
١٢٦- عبد الواحد محمد راغب , البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ١٧٤٤-١٩٣٤ , ج٢ , القاهرة , ١٩٩٨ , ص ١٥١ .
١٢٧- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٢٠٦ .
١٢٨- هاشم سعيد النعمي , المصدر السابق , ص٢٩٦ .
١٢٩- ابراهيم محمد حسن , البحر الاحمر في الحرب العالمية الاولى – ١٩١٤- ١٩١٨ , عين للدراسات والبحوث , القاهرة , ١٩٩٨ , ص ٦٧ .
١٣٠- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٢٠٤ .
١٣١- سيد مصطفى سالم , مراحل العلاقات اليمنية السعودية , ١٧٥٤-١٩٣٤ , عربية للطباعة , القاهرة , ٢٠٠٣ , ص٢٦٨ .
١٣٢- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٦٧.
١٣٣- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص ٥٩ .
١٣٤- عبد الواحد محمد راغب , المصدر السابق , ص١٥٥.
١٣٥- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص ٦٠ .
١٣٦- عبد الواحد محمد راغب , المصدر السابق , ص١٥٥ـ ١٥٦ .
١٣٧- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص ٦٠ , هاشم سعيد النعمي , المصدر السابق , ص٣٠١ .
١٣٨- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٢١٦.
١٣٩- المصدر نفسه – ص٢١٧ .
١٤٠- عبد الواحد محمد راغب , المصدر السابق , ص١٥٨.
١٤١- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٢١٨-٢١٩.
١٤٢- هاشم سعيد النعمي , المصدر السابق , ص٣١١ ـ ٣١٢ .
١٤٣- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٦٨.
١٤٤- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٢٢٠-٢٢١.
١٤٥- محمد يحيى الحداد , المصدر السابق , ص ٦٢ .
١٤٦- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن , ص٣٢٦ .
١٤٧- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية بإسطنبول , المصدر السابق , ص١٩.
١٤٨- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ص ٢٧٢.
١٤٩- عبد الله محسن العزب , المصدر السابق , ص ٨٩ ـ ٩٠ .
١٥٠- فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , المصدر السابق , ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

١٥١- سيد مصطفى سالم , مراحل العلاقات اليمنية السعودية , ص ٢٧٦- ٢٧٧ .

١٥٢- عزيز خودا بيردييف , المصدر السابق , ص٥٣- ٥٤ , توفيق علي برو , المصدر السابق , ص٢٤٩ .

١٥٣- سيد مصطفى سالم , مراحل العلاقات اليمنية السعودية , ص ٢٧٥.

١٥٤- ابراهيم محمد حسن , المصدر السابق , ص ٦٩ - ٧٠ .

١٥٥- فاروق عثمان اباظة , عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر , ص ٥٧٩- ٥٨٠ .

١٥٦- عبد الواحد محمد راغب , المصدر السابق , ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

١٥٧- فاروق عثمان اباظة , عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر , ص ٥٨٥ .

١٥٨- سيد مصطفى سالم , تكوين اليمن الحديث , ص١٩٥ ــ ١٩٦ .

المصادر والمراجع : -

اولا : المصادر العربية والمعربة :

١-ابراهيم محمد حسن , البحر الاحمر في الحرب العالمية الاولى – ١٩١٤- ١٩١٨ , عين للدراسات والبحوث الانسانية , القاهرة , ١٩٩٨ .

٢-احمد محمد الحسين يحيى حميد الدين , الامام الشهيد يحيى حميد الدين , ج١ . دار المعارف , (د . م) , ٢٠١٥

٣- احمد راشد , تاريخ اليمن وصنعاء , ج٢ , ترجمة مديرية التطور الثقافي , مطبعة البصرة , العراق , ١٩٨٦.

٤-احمد عبيد دغر , اليمن تحت حكم الامام احمد (١٩٤٨-١٩٦٢) مكتبة مدبولي , القاهرة , ٢٠٠٤.

٥-ايلينا جولوبوفسكايا , ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن , ترجمة قائد محمد طربوش , مراجعة حسن عزعزي , دار ابن خلدون , بيروت , ١٩٨٢.

٦-توفيق علي برو, العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨- ١٩١٤ , دار النهضة , (د . م) , ١٩٦٠.

٧-سلفاتور ابونتي , مملكة الامام يحيى – رحلة في بلاد العربية السعيدة , ترجمة طه فوزي , مطبعة السعادة , مصر , ١٩٤٧.

٨-سعد محمد الشرقي , عشر سنوات من سيرة الامام يحيى محمد حميد الدين ـ المسمات تقييد حوادث انشاء تجديد الجهاد الثاني , مج١ , تحقيق محمد عيسى صالحية , بيروت , ٢٠٠٤ .

٩-سيد مصطفى سالم , تكوين اليمن الحديث ـ اليمن والامام يحيى ١٩٠٤-١٩٤٨ , ط٤ , دار الامين للنشر , القاهرة , ١٩٩٣ .

١٠- ــــــــــ, مراحل العلاقات اليمنية السعودية , ١٧٥٤-١٩٣٤ , عربية للطباعة والنشر, القاهرة , ٢٠٠٣.

١١- فاروق عثمان اباظة , الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨, الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة ١٩٨٦.

١٢- ــــــــــ, عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ١٨٣٩ – ١٩١٨ , الهيئة المصرية للكتاب , القاهرة , ١٩٨٧.

١٣-فؤاد عبد الوهاب علي الشامي , علاقة العثمانيين بالامام يحيى في ولاية اليمن ١٩٠٤- ١٩١٨ , صنعاء , ٢٠١١.

١٤- عبد الله السلال واخرون , ثورة اليمن الدستورية , مركز الدراسات والبحوث اليمني , دار الاداب , بيروت , ١٩٨٥.

١٥- عبد الله محسن العزب , تاريخ اليمن الحديث – فترة خروج العثمانيين الاخير , تحقيق عبد الله محمد الحبشي , الهيئة العامة للكتاب , الاسكندرية , ١٩٨٦.

١٦- عبد الواحد محمد راغب , البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ١٧٤٤-١٩٣٤ , ج٢ , القاهرة , ١٩٩٨.

١٧- عبد العزيز قائد المسعودي , اليمن المعاصر من القبيلة الى الدولة ١٩١١- ١٩٦٧ , مركز الدراسات والبحوث اليمني , صنعاء , ٢٠٠٤.

١٨- عبد الله عبد الكريم الجغرافي , من تاريخ اليمن , مؤسسة دار الكتاب الحديث , ط٢ , بيروت , ١٩٨٤.
١٩- عبد الواسع يحيى الواسعي , تاريخ اليمن – المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن , المطبعة السلفية , القاهرة , ١٩٢٨.
٢٠- عزيز خودا بيرديف , الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن , دار التقدم , موسكو , ١٩٩٠ .
٢١- مجموعة من المؤلفين السوفيت , تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢ , ترجمة محمد علي البحر , مراجعة محمد احمد علي , مكتبة مدبولي , القاهرة , ١٩٩١ .
٢٢- محمد علي البار , عدن لؤلؤة اليمن – عدن في العصر الحديث من الاحتلال البريطاني ١٨٣٩ الى الاستقلال ١٩٦٧ , كنوز المعرفة , جدة , ٢٠١٢ .
٢٣- محمد يحيى زبارة , تاريخ الائمة الزيدية في اليمن في العصر الحديث , تقديم محمد زينهم محمد , مكتبة الثقافة الدينية , القاهرة , ١٩٩٨ .
٢٤- ـــــــــــ , ائمة اليمن في القرن الرابع عشر الميلادي , المطبعة السلفية , القاهرة , (د . ت).
٢٥- محمد الحسين غمضان , رحلة اعيان اليمن الى اسطنبول ١٩٠٧ , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ٢٠١٥.
٢٦- محمد يحيى الحداد , التاريخ العام لليمن , مج٣ , مكتبة الارشاد , صنعاء , ٢٠٠٨ .
٢٧- محمود الجبارات , دراسات في تاريخ اليمن المعاصر , دار ورد الاردنية للنشر والتوزيع , عمان , ٢٠١٤ .
٢٨- مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول , بحوث الندوة الدولية – اليمن في العهد العثماني , المركز الوطني للوثائق , اسطنبول , ٢٠١١ .
٢٩- هاشم سعيد النعمي , تاريخ عسير في الماضي والحاضر , (د . م) , ١٩٩٩.
٣٠- هارولدف يعقوب , ملوك شبه الجزيرة العربية , ترجمة احمد المضواحي , دار العودة , بيروت , ١٩٨٣ .
٣١- نزيه مؤيد العظم , رحلة في بلاد العرب السعيدة , مطبعة عيسى بابي الحلبي , القاهرة , ١٩٣٨.

ثانيا : البحوث المنشورة :-

١- غانم محمد رميض , المجالس المحلية في اليمن ـ دراسة في تطور التجربة الديمقراطية , مجلة كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية , العدد ٥١ , ٢٠٠٧.

ثالثا : الرسائل الجامعية :-

١- سنان صادق جواد , موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية – ١٨٨٩- ١٩١٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الاداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٥ .
٢- ثامر عزام حمد , المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني لعدن – ١٨٣٩- ١٨٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة تكريت , ٢٠٠٥.

رابعا : المصادر الانكليزية :

١- Burry ,G.W. ;Arabia Infelix or the Turks in Yemen Macmillan, &Co , London, 1915.
٢- Wavel, A. j .B. ; A Modern pilgrim in Mecca . Constable & Co . Ltd . London . 1954 . Second Ed